

مخافة الديَّان
في تذكير القاضي الوسنان

نظم وتأليف وشرح

الشيخ صلاح الدين خضر فخري

الإجازة العالية في الشريعة والقانون من الأزهر الشريف - مصر

إمام وخطيب ومدرس مسجد الخلية السعودية

تقديم

المستشار القاضي فضيلة الشيخ محمد أحمد عساف

طبع على نفقة

جمعية دار الحديث

بيروت

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل القضاء للفصل بين خصومات العباد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير من قضى بين العباد، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم المعاد، وبعد:

فقد اطلعت على كتاب العالم المربي الأديب البليغ فضيلة الشيخ صلاح الدين فخري المسمى "مخافة الديان في تذكير القاضي الوسنان[1]" فوجدته كتاباً قلَّ نظيره، فريد من نوعه، فقد وضع مؤلفه الفاضل نظماً شعرياً في القضايا المتعلقة بالقضاء من حكم القاضي، والعدل في قضاء الحكم، والأحكام المرتجلة، والرشوة في القضاء والقاضي المرتشي، والقضاء في حالة الغضب، والغرور الذي تكتنفه نفس القضاء والرياء، وواجبات لازمة للقاضي، ثم شرح هذا النظم، اللطيف في عباراته، السهل في حفظه، شرحه بشرح مبسط وجيز، ينبأ عن مكانة المؤلف العلمية، حيث أفرد فيه بعض النصائح لمن تولى القضاء، وتقدم للحكم بين العباد، سارداً بعض القصص والعبر والمواعظ التي أضفت على الموضوع شيئاً من الرَوحة عن القلب، محذراص من الارتجال في الأحكام، فمن نصحه للقاضي "أن يطهر ظاهره بحسن العمال والأقوال، وباطنه بلوامع الأحوال، وان يطبق الأمور الشرعية ظاهراً وباطناً، سراً وجهراً، فإذا بلغ هذا المقام ظهرت ينابيع الأحكام المسددة على يديه، وقبل الناس أحكامه وحكمه".

فالقضاء له مكانه عظيمة في الإسلام، فهو الذي يفرق بين الحق والباطل وينصر المظلوم ويأخذ على يد الظالم، وينصف بين العباد، لذلك كانت عاقبة القاضي الذي يشذ عن الحق والعدل بين الخصوم النار، أخرج أبو داوود والنسائي وابن ماجه عن أبي بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: "**القضاة ثلاثة: واحد في الجنة واثنان في النار، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار.**"، وقد فسر الفقهاء قاضي الجنة بأن النفس به مطمئنة والمفسر بذي العلم والعمل، وهو الذي عرف الحق فحكم به، وعرف الباطل فأعرض عنه،

(١) الوسنان: هو النعسان، قال ابن منظور: والسِّنة: النعاس من غير نوم، وفي الحديث توقظ الوسنان أي النائم.

فالله سبحانه وتعالى أمر بالعدل بين الناس عند القضاء فقال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ﴾[(١)].

لذلك أجمع العلماء على أن من تولى الحكم والقضاء وجب عليه العدل بين الخلق، قال الفخر الرازي في تفسيره: "أجمعوا على أن من كان حاكماً وجب عليه أن يحكم بالعدل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ﴾[(٢)]، وقال: ﴿يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾[(٣)].

ففضيلة العالم الشيخ صلاح الدين فخري هو من العلماء الأجلَّاء الذين كان لي شرف التعلم على يديه، حيث تعلمت عليه علم الميراث عندما كنت في ريعان شبابي أطلب العلم الشريف في معهد أزهر لبنان، كما قرأت عليه شيئاً من البلاغة، فهو لم يدع علماً إلا وطرق بابه، وغاص في بحاره، ونهل من ينابيع المعرفة فيه، فهو الفقيه البارع، والصوفي اليقظ، والأديب البليغ، ويدل على ذلك نظمه لأبيات في علم القضاء وهذا من الصعوبة بمكان أن ينظم أحداً نظماً في القضاء وأدب القضاء، في أسلوب سهل رقيق وشيِّق، بعيداً عن ركاكة العبارة، سهل في الدلالة والإشارة، كيف لا وهو قد وضع قبل نظماً في باب الحج، ونظماً في الأسانيد ونظماً في إعراب الجمل المنصرفة وغير المنصرفة، وله باع طويل في نظم الأبيات في شتى أنواع العلوم الشرعية واللغوية شرحها بأسلوب ممتع لا يملُّ قارئه، ولا يكلُّ طالبه.

نسأل المولى عزَّ وجل أن يبعد عنا النعس في مجال القضاء، وأن يجزي المؤلف الشيخ صلاح الدين فخري عنا كل خير، وأن يجعل ما نظمه وشرحه في هذا الكتاب نِبراساً يضيئ له الطرق إلى الجنَّة يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، وأن يجعل هذا السِّفر القيِّم صدقة جارية له في الدنيا والآخرة مصدقاً لقوله عليه أفضل الصلاة والسلام: "**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له**"، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

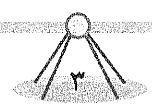
القاضي المستشار الشيخ محمد أحمد عساف

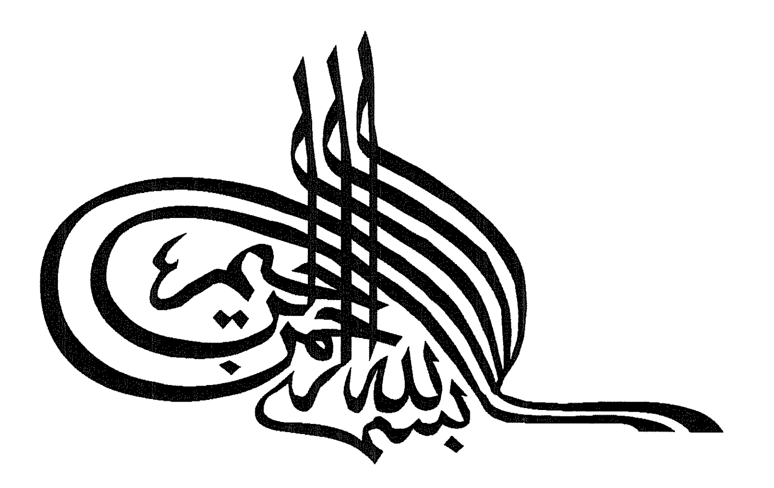
---

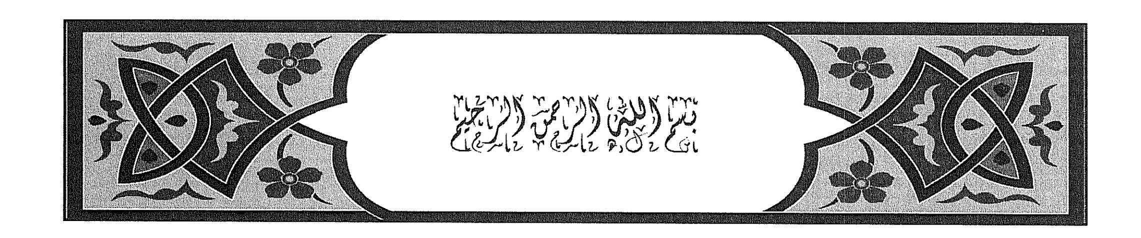
(١) النساء: ٥٨

(٢) الأنعام: ١٥٢

(٣) ص: ٢٦




بسم الله الرحمن الرحيم



التوطئة

الحمدُ للهِ خالقِ الخلق، والقاضي بالحق، وصلى الله على سيدنا محمدٍ سيدِ القضاة والمحُكمين، وخاتم الأنبياءِ والمرسلين، وعلى جميع الأنبياء المقربين، وآل بيتهِ الطاهرين، وصحابتهِ الغُرِّ الميامين، وعلينا معهم إلى يوم الدين:

وبعد..

فإنَّ الله تعالى جعلَ الحكمَ بينَ الناسِ من أرقى الوسائلِ للوصول إلى الغايات، وجعلَه من أرفع الصِّفات والسِّمات، إذ فيه صلاحهُم وفلاحهم وخيرُهم وقد قال الله تعالى مخاطباً نبيَّهُ محمداً ﷺ:

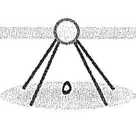
﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾[1].

وقال رسولنا الأكرم ﷺ **'إن المقسطين عند الله تعالى على منابر من نور عن يمين الرحمن -وكلتا يديه يمين- الذينَ يعدلون في حكمهم وماوُلوا'**[2].

ومن المعلوم أن القضاءَ له أهميةٌ كبرى وقيمة عظيمة في الإسلام، إذ به يقومُ الحق، وتتوطدُ أواصرُ الدولة وأحكامِها، ويثبتُ العدلُ بين الناس على يديْ القاضي الصالح اليقظ، وتُضبطُ القواعد، وتُحْفَظُ الحرمات

(١) سورة النساء: الآية ١٠٥

(٢) رواه مسلم والحاكم والترمذي.

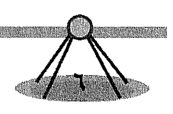


والحقوق الشرعية، والدنيوية والإجتماعية، وما يحتاجه البشر للفصل بينهم وبه يُحفظ الدين، والنفسُ، والعرضُ، والعقلُ والمالُ وهي المصالحُ التي جاءت بها الشرائع السماوية كلها وأمرتْ بحفظها ورعايتها.

لذا يجب بل يفترض على كل من تَقَلَّدَ أو يتقلد سُدَّة القضاء والحكم، وتسَّلم معالجةَ الأحكام بين الناس والبشر، وتصَدَّر بين الخصوم أن يستبينَ الحقَ ويُوضع في نصابِه، ويثبت الحق في حكمه وعدله لأصحابه وينبغي لهُ أن يتحلىّ بسماتٍ طيبة، وصفات رائعة، وأخلاق فاضلة، تأسياً برسولِنا محمدٍ ﷺ وبصحابته الكِرام.

لذلكَ فقد وضعتُ هذه النصائحَ الصادقَة الصادحةَ في القضاءِ والحكم وخلافِه للإتعاظ والإعتبار، وعملتُ وكْدَى وجهدي لأبرزَها في صورةٍ جذّابةٍ مقبولة، وأُلبسَها الثوبَ الملائم، معتنياً بها على ما اكتست من دثار وتسربلت من قطمار، وقد طرقت هذا الباب، وسلكتُ، هذا الطريق، لأننا في زمنِ الجفافِ والنقصانِ والرتابة، والتقنين والوظيفةِ الملزمةِ الجافة، وكلٌ منا يحتاج إلى التذكير والتنبيه والإنذار، وقد نظمتُها في قالب الفوائد والنصائح ثم سلَّكْتُها في عقدِ حباتٍ منظمة، حيث النظم للحفظ أجدى، وللتذكير أولى، وشرحت ذلك شرحاً موجزاً من غير تطويل ممل، ولا إيجاز مُخِل، وسميته:

(مخافة الديَّان، في تذكير القاضي الوسنان).



وقد قسمت نظمي إلى سبعة أقسام بعد المقدمة.

المقدمـــــــة

القســـم الأول: الحكمُ بأمر الله تعالى.

القســـم الثاني: العدل في القضاء والحكم.

القســـم الثالث: الأحكام المرتجلة.

القســـم الرابع: الرشوة والمرتشي وحكمهما.

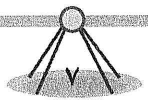
القسم الخامس: القضاءُ في حالة الغضب.

القسم السادس: الغرور الذي يكتنفه والرياء.

القســـم السابع: واجبات لازمة للقاضي.

الخاتمـــــــة

فهو بمثابة فهرس يمحضُ المطلوب، ويقرب المرغوب، ويذكِّرُ بالمقصود، ويَرُد المردود ويقيمُ الحدود.



وأعتقد جازماً أن القاضي الخبير الفاهم لمناحي الأقضية وأحكامها يدرك روعة ما قلته، وسطرتُه، ونظمته، وشرحته، خاصّةً وإنه خليفة الله تعالى في أرضه، قال تعالى:

﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾[1]

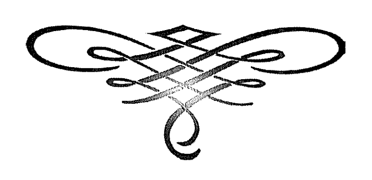
واسأل المولى العظيم أن يجعل ذلك في صحيفتي يوم الدين، وفي صحيفة كل قاضٍ حكم بالعدل والحق، وفي صحيفة كل مظلومٍ هُضِم حقه وفي صحيفة مشايخي ووالِدَيْ، ومَنْ أحَبنا ولاذ بنا.

آمين آمين آمين

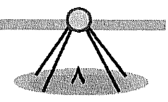
وكتبه

الشيخ صلاح الدين بن خضر فخري

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م



(١) سورة ص، الآية: ٢٦



التقسيم

المقدمــــة: (ثمانية عشر بيتاً).

القسم الأول: الحكمُ فيما أمر الله تعالى (عشرة أبيات).

القسم الثاني: العدل في القضاء والحكم (عشرة أبيات).

القسم الثالث: الأحكام المرتجلة (عشرة أبيات).

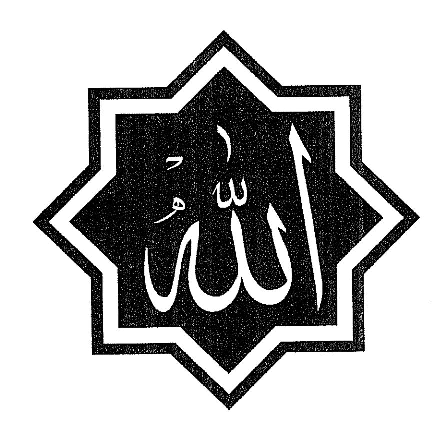
القسم الرابع: الرشوة والمرتشي وحكمهما (عشرة أبيات).

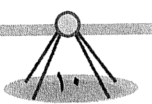
القسم الخامس: القضاءُ في حالة الغضب (عشرة أبيات).

القسم السادس: الغرور الذي يكتنفه والرياء (عشرة أبيات).

القسم السابع: واجبات لازمة للقاضي (عشرة أبيات).

الخاتمــة: (ستة أبيات).


الله



المقدمة

الحمدُ للهِ الذي قد أَمَرا بالقسطِ حُكْمَاً عادلاً إذْ لا مِرا

ثم الصلاةُ والسلامُ الأعدلُ على الذي كان مَناراً يَعدِلُ

وآلهِ وصحبهِ ومَنْ عدلْ ما غرَّدَ الطيرُ وحقٌّ اكتَمَلْ

وبعدُ فالقضاءُ أمرٌ مفتخرْ حيثُ يُقامُ العدلُ فيه للبشرْ

لذا جعلتُ النصحَ فيه يَبْتَسِمْ عن ثَغْرِ دُرٍ صادِقٍ ومُنْتَظِمْ

قسمتُها سبعاً أتتْ في نسقِ كي تُشترىٰ بالمالِ ملء الوسقِ

أولاَها حكمُ اللهِ بينَ البشرِ والعدلُ في الأحكامِ جا في الخبرِ

كذاكَ حكمُ المرتَجِلْ والرشوةْ ثم القَضا في غضبٍ وغفوةْ

ثم الخصالُ كالرياءِ والغرورْ وشَّيْتُها حُلًا بديعاً كالزهورْ

وواجباتُ القاضي حقٌّ مُلْزِمُ من الصفاتِ واجبٌ ومُلْزِمُ

ضمنتُها الفوائدَ المأثورةْ من قَصصٍ ودُررٍ منثورة

نظمتُ كلَ عشرةٍ موضوعاً حتىٰ تعم ثم لا تضيعا

سميتُها مخافَةَ الديانِ لكلِ قاضٍ كان كالوسنانِ

وأسألُ المولىٰ الكريمَ النَفْعَا لمن قَرا فيها مريدَ النَفعا

والحمدُ لله ختاماً مثلُ ما بدأتُهُ كانَ الكرامُ العلما

ثم الصلاة والسلام سرمداً على نبينا المختار أبدا

وآله وصحبه الأطهار ووالدينا جنةُ الأبرار

رب أوزعني لشكر نعمتك واختم إلهي عمرَنا برحمتك

شــرح مقدمة القصـيدة

- البيت:

الـحــمــدُ لـلـهِ الــذي قــد أَمَــرا ... بِالقسطِ حُكْمَاً عـادلاً إذْ لا مِـرَا

- الشرح:

أبدأُ نظميَ هذا بحمدِ اللهِ تبارك وتعالى فهو جلَّ جلالُه صاحبُ المحامِد كلها، حمداً يليق بِجلاله وعظمة سلطانه حمداً يملأ ما بين السماء والأرض، ويملأ ما شاء من شيءٍ بعد؛ وهذا الحمد لله المتعالى إقتداءً بالنبي محمد ﷺ حيث قال: '**كل أمرٍ ذي بال لا يبدأ بالحمد لله فهو أبتر**' وفي رواية '**أجزم**' أي ناقص قليل البركة.

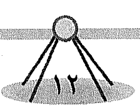
والحمد لغة: هو الثناء باللسان على الجميل الإختياري على جهة التبجيل والتعظيم.

والحمد القولي لله تعالى: هو حمدُه وثناؤه على الحق بما أثنى على نفسه على لسان أنبيائه.

فهو مولانا العظيم الذي يتولانا برعايته وحفظه وهو الكريم الذي يكرم عباده ويهديهم سبل السلام والصراط المستقيم وهو الإله الذي يحب العدل ويأمر به، وهو المقسط الذي يحب المقسطين.

وهو الذي يستحق الصفات اللآئقة الرائعة؛ من صفات الطَوْل والكرم والجود والعطاء والفضل والغنى والسعة والمِّنة، وصاحب الأنعام التي يجزل خيرها وبرها وكرمها على عباده.

كما أن بركات الله تعالى وأياديه المنعمة علينا بسوابغ النعم كثيرة غزيرة



وجليلة لاتعد ولا تحصى، قال تعالى: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾[1] وقال: ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾[2] وقال: ﴿ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾[3].

و الله تعالى أمر رسوله ﷺ أن يحكم بين الناس بالعدل والإنصاف، وورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: 'ويلكم إن لم أعدل فمن يعدل' وحكم رسوله الكريم هو حكم الله تعالى العادل وهذا لا مراء فيه ولا شك لأنه مرسل من رب العالمين إلى الناس جميعاً.

قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾[4].

- **البيت:**

ثم الصلاةُ والسلامُ الأعدلُ ... على الذي كان مناراً يَعدِلُ

- **الشرح:**

ثم أصلي على سيدنا محمد ﷺ صلاة دائمة سرمدية إلى يوم الدين؛

فهو عليه الصلاة والسلام سر الأكوان، على مدار الأزمان، ومن أجله خلقت السموات والأرضين، وورد 'لولاك لولاك ما خلقتُ الأفلاك' ...

فقد جعله المولى خاتم الأنبياء والمرسلين، ومازَهُ بأرقي الأوصاف، ووسمه بأحلى السمات فقال عنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾[5].

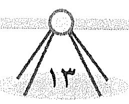
(١) سورة إبراهيم: الآية ٣٤

(٢) سورة لقمان: الآية ٢٠

(٣) سورة النساء: الآية ١١٣

(٤) سورة النجم: الآية ٣ - ٤.

(٥) سورة الأحزاب: الآية ٤٥ - ٤٦



وقد أعطاه بعضاً صفاته مع بشريته ليدلنا على رفعة مقامه وعلوه فقال عنه: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ ﴾[1] واصطفاه عَلَماً وشخصاً ونبياً ورسولاً على جميع الأنبياء والخلق، وأثنى عليه من خُلقِهِ فقال عنه: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾[2] فهو عليه الصلاة والسلام نور على نور، يهدي الله بنوره من شاء، وأخرج به الناس من ظلمات الجهل والضلال إلى نور الهداية والإرشاد.

قال تعالى ﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾[3].

وقد جعل الله تعالى الصلاة على النبي ﷺ من العبادات التي نتقرب بها إليه، فقد قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[4]

وقد ذكر العلماء في تفسير هذه الآية فقالوا:

- إن الصلاة من الله تعالى على نبيه ﷺ معناها الرحمة.
- وإن الصلاة من الملائكة على النبي ﷺ معناها الإستغفار.
- وإن الصلاة من المؤمنين على النبي ﷺ معناها الدعاء.

قلت: وبالتالي يعود علينا ثواب هذه الصلاة ونفعها وفضلها، وقد قال عليه الصلاة والسلام مرغباً في كثرة الصلاة والسلام عليه فقال: **'من صلى عليَّ مرةً صلى الله عليه عشراً'**[5]

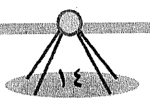
(١) سورة التوبة: الآية ١٢٨

(٢) سورة القلم: الآية ٤

(٣) سورة المائدة: الآية ١٥

(٤) سورة الأحزاب: الآية ٥٦

(٥) رواه النسائي



وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال عليه الصلاة والسلام: "**من سرَّهُ أن يكتَال بالمكيال الأوفى، إذا صلى علينا أهل البيت، فليقل: اللهم صلِ على محمد وأزواجه وأمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته، كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد**"[1]

• البيت:

وآلـــهِ وصـحـبـهِ ومَـــنْ عـدلْ　　　　مـا غــرَّدَ الـطـيـرُ وحــقٌّ اكْـتـمَـلْ

• الشرح:

وأصلي كذلك بالتبعية على آل رسول الله ﷺ فهم الكرام الذين أثنى عليهم رسول الله ﷺ؛ وهم سفينة النجاة الذين أُمرنا بالسير والركوب معهم، وهم الذين أمرنا بمحبتهم وبرهم وإكرامهم.

وقال في الحديث: "**تركت فيكم ما أخذتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي (أهل بيتي)**"[2] وفي رواية "**كتاب الله وسنتي**".

وهم الذين أوصانا بهم كما قال تعالى حكايةً عن رسولنا عليه الصلاة والسلام ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[3].

أي لا أسألكم على تبليغ الرسالة من أجر إما لأن أجري على الله تعالى كما أنكم إذا أردتم أجري على ما أبلغكم فلن تستطيعوا مطلقاً لأن الذي أبلغكم إياه وهو دين الله تعالى لا يمكن تقديره بأجر مهما علا أو غلا.

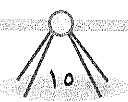
وأبلغكم رسالاته- وأما لأنكم لا تقدرون على هذا الأجر لِعِظَمِ الرسالة التي

---

(١) رواه أبو داوود.

(٢) رواه الترمذي وغيره بألفاظ مختلفة ومعناها واحد.

(٣) سورة الشورى: الآية ٢٣.



لا توفون حقها بأجر أو غيره، بل أريد منكم أن تؤدوا حقَ أهل بيتي وقرابتي ولا تؤذوهم.

وقد ذكر لنا شيخنا الشيخ محمود الرنكوسي رحمه الله تعالى:

أن آل البيت هم - ثلاث عيون وجيم وحاء.

(آل علي)، و(آل عقيل)، و(آل عباس)، (آل جعفر)، و(آل الحارث)، و(آل حمزة).

اللهم انفعنا بمحبتهم يا رب العالمين.

وأصلي بالتبعية - التي توافق الجمهور على صحتها[1] - على أصحاب رسول الله ﷺ الذين مدحهم بقوله '**الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً من بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذىٰ الله، ومن آذىٰ الله يوشك أن يأخذه**'[2]؛

والصحابي هو كل من رأي الرسول ﷺ وآمن به.

والصحابة كلهم عدول وثقات وأهل أمانة ورعاية وأهل الطوْل والمحبة والإكرام وقد قال الله فيهم ﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾[3]وقد انتقل الرسول الأعظم ﷺ إلى الرفيق الأعلى وهو عنهم راضٍ.

اللهم ارزقنا -بصدقٍ- حُبَهم واحترامهم وإجلالهم يا رب العالمين.

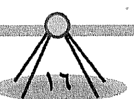
وكذلك أدعوا الله تعالى لكل من سلك طريق العدل القويم والحكم المبين من

---

(١) وورد أن عبد الله بن أبي أوفىٰ صحابي من أهل بيعة الرضوان ممن فاز بالدعوة النبوية جاء إلىٰ النبي صلىٰ الله عليه وسلم بزكاة والده فقال النبي صلىٰ الله عليه وسلم (اللهم صلي علىٰ آل أبي أوفىٰ) وقد كف بصره في آخر عمره وكان آخر الصحابة وفاة بالكوفة.

(٢) رواه الترمذي عن عبد الله بن مغفَّل

(٣) سورة المجادلة: الآية ٢٢



الذين اختارهم الله من بني خلقه ليحكموا بالحق نزولاً عند قوله تعالى ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّ ﴾[١] ومن عدل عدلاً صادقاً لا شبهة فيه ولا ارتياب.

وصلاتي على رسول الله ﷺ وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار ومن عدل، وسار على إظهار الحق حتى اكتمل وهذه الصلاة مستمرة دائمة مدة تغريد الطيور الصادحة بتسبيح الله تعالى.

وذلك على مدى الدهور والعصور والليالي والأيام عسى أن نجد حلاوتها وروعتها في الدنيا والآخرة؛

وإذا أردتم صيغة مباركة على رسول الله ﷺ فأحثكم على استعمال هذه الصيغة المباركة.

'اللهم صلِ على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً بقدر عظمة ذاتك في كل وقت وحين'[٢].

- البيت:

وبعدُ فالقضاءُ أمرٌ مفتخرٌ   حيثُ يُقَامُ العدلُ فيه للبشرْ

- الشرح:

والقضاء له تعاريف وحدود ذكرها أهل العلم والمعرفة؛

فمنها: هو الإخبار عن حكم شرعي على سبيل الإلتزام.

وقال ابن طلحة الأندلسي:

'القضاء هو الدخول بين الخالق والخلق لتؤدى أوامر اللهِ وأحكامه بواسطة الكتاب والسنة'.

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ١١٢

(٢) هذه الصيغة مأخوذة بالإذن من مولانا الشيخ مختار العلايلي رحمه الله تعالى من الشيخ جعفر الكتاني رحمه الله تعالى وبالسند المتصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقال ابن عرفة كما أورد الأُبِّيُ في شرح مسلم[1]:

'القضاء صفة حُكْميَّةٌ توجب لموصوفها نفوذ ولو بتعديل حكمه الشرعي'.

وقال صاحب الروض:[2]

'القضاء هو تبين الحكم الشرعي والإلتزام به وفصل الحكومات'.

قلت:

وبعد، قيل أن هذه الكلمة هي المعني بها في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾[3] وهي كلمة، أما بعد، أو وبعد، وقيل فصل الخطاب[4] البلاغة في الكلام وجمعه للمعنى المقصود بحيث لا يحتاج سامعه إلى تبيان.

والمعنى: مهما يكن من أمرٍ فإني أقول: إن القضاء هو أمر يفتخر المرء به إن وُفِّق في قضاءه وأكرمه المولى بالسداد والرشاد، ورد الحق إلى أصحابه، ورد الظالم إلى صوابه، ووضع الخير في نصابه.

ولأن القضاء بين الناس فيه الحق والعدل والخير وبنشره تحفظ الأديان والأموال والأعراض، والنفوس والأنساب التي أتى الإسلام ليحافظ عليها.

قال اللقاني:

وحفظ دينٍ ثم نفسٍ مالٍ نسب   وبعدها عقلٌ وعرضٌ قد وجب

---

(١) شرح الأبي على صحيح مسلم ٥/ ٢، والأُبي نسبة لأُبة قرية من أعمال، تونس وهو محمد بن خَلفة.

(٢) هو منصور بن بوبس بن ادريس

(٣) سورة ص: الآية ٢٠

(٤) هو برهان الدين إبراهيم بن هارون اللفافي المتوفي سنة ١٠٤١ه عاش في القاهرة، أحد الأعلام له سعة إطلاع في علم الحديث وعلم الكلام، والفتاوئ، له كرامات وكان جامعاً بين الحقيقة والشريعة، توفي وهو راجع من الحج بغرب العقبة رحمه الله تعالى.

• البيت:

لـذا جعلتُ النصحَ فيه يَبْتَسِمْ   عـن ثَـغْـرِ دُرٍ صـادِقٍ ومُنْتَظِمْ

• الشرح:

وأنا قد نظمتُ هذا النظم وضمنتُه النصائح لمن سلك هذا الطريق الوعر الشاق الصعب إلا من رحم ربي وجعلتُ فيه النصائح تلو النصائح الصادقة التي تبتسم صوادقها ولوامعها.

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ :

"الدين النصيحة، قالوا لمن يا رسول الله، قال: لله، ولرسوله، ولكتابه وللأئمة المسلمين وعامتهم"[1]؛

بيد أن هذه الإبتسامة النصيحة، أبانتْ في ثغرها عن درر نفيسة، وفوائد منيفة.

والدُّرَة: هي اللؤلؤة العظيمة الفاخرة، وما عظم من اللؤلؤ.

وكوكب دري أي مضيئ ثاقب في إضاءته.

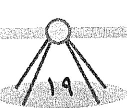
وبالجملة أرجو ممن قرأ هذه النصائح وقد تسلَّم سُدةَ القضاء أن يتمسك بهذه النصائح والفوائد والفرائد راجياً من الله أن تكون صادقة مخلصة.

لأن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم.

كما أن هذه النصائح مرتبة منتظمةً حيث النظمُ أوضع في النفس تأثيراً، وأجدى للذاكرة حفظاً. والله يتولانا وإياك.

---

(١) رواه الإمام مسلم عن تميم الداري رضي الله عنه



- البيت:

قسمتُها سبعاً أتتْ في نسقِ   كي تُشترىٰ بالمالِ ملءَ الوسقِ

- الشرح:

وقد أتت هذه المنظومة في سبعة أقسام كما أتى في المقدمة موجزاً، وسيأتي شرحاً مفصلاً.

كما أنها أتت في نسق متناغم مع معانيها ومقاصدها.

والمقصود في ذلك أن النصائح الواردة والفوائد المدرجة ضمنها، قد أتتْ يشد بعضها بعضاً في نسق متتابع فيه من الجمال والأداء والتراتبية مما يجعل القارئ يتابع بشغف ولهف وتؤدة ويرتوي بالقراءة والمطالعةِ والتلاوةِ.

وهذه القصيدة المنظومة -لما تضمنتْه من فضائل ومراتب ونصح- أصبحت تشترى - إن استطاع المرء ذلك- بمال وفير وثمن كبير كملء الوسق[1] وذلك ليؤدي ثمنها ويحوزها.

والمراد المعنوي لبيان القيمة، والفضل، والفائدة.

البيت:

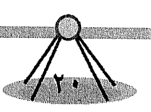
أولَاهـا حكمُ اللهِ بينَ البشرِ   والعدلُ في الأحكامِ جا في الخبرِ

- الشرح:

بدأت بذكر الأقسام السبعة مجملة في هذه الأبيات.

أولاها: الحكم بين العباد فيما أمر الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام كما سأبين في مكانه مفصلاً.

(١) وهو حمل جمل (بعير) وهو ستون صاعاً.



ثانيها: العدل في الأحكام وترك الحيف والميل والظلم.

وهذا أمر مطلوب لا مراء فيه ولا شك.

ثالثها: النهي عن الإرتجال في الأحكام والتروي في الحكم والتسرع في القضاء بين الناس بلا روية ولا تفكر ولا تمعن فيضيع الكثير من الحقوق ولات ساعة مندم.

رابعها: الرشوة وحكمها واللعن الوارد فيها ومضارها، وتغشى هذا المرض المريض البغيض في مجتمعنا، والأحكام المتعلقة بها.

- البيت:

كذاكَ حكمُ المرتَجِلُ والرِشوةٌ   ثم القَضا في غضبٍ وغفوةٌ

- الشرح:

خامسها: القضاء في حالة الغضب والغفوة، والغفلة التي يسيطر عليها الغضب لأن ذلك يغير الكثير من الأحكام.

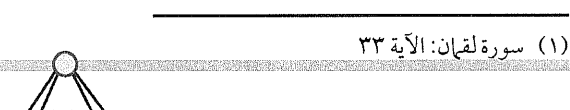
سادسها: الرياء والمفاخرة والتشوف والغرور.

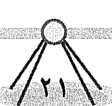
سابعها: في واجبات القاضي وصفاته التي ينبغي أن يتصف بها لزوماً حقيقياً بل القاضي الصادق يخرج من حوله وقوته إلى حول الله وقوته، ومن علمه ومعرفته إلى علم الله ومعرفته وتوفيقه.

والله نهانا عن الغرور بقوله: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٣٣﴾[1]

---

(١) سورة لقمان: الآية ٣٣





- البيت:

ثـم الـخـصـالُ كـالـريـاءِ والـغـرورْ وشَّـيّـتُـهـا حُـلاً بـديـعـاً كـالـزهـورْ

- الشرح:

وإني أدعو الله تبارك وتعالى أن يدفع عنا وعمن قرأ هذه المنظومة وشرحها وعمل بها كل شر وضر لأنها بمثابة التقويم لمن إعوج وضل إنه سميع مجيب

وإنني كما سأتطرق لبعض الخصال المهلكة، سآتي بمقابلها بالمحاسنِ، حيث تتميز الأشياء بأضدادها.

- البيت:

وواجـبـاتُ القاضي حـقٌ مُلْتَزِمُ مـن الـصـفـاتِ واجـبٌ ومُـلْـتَـزِمُ

- الشرح:

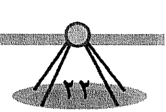
ذكرت واجبات القاضي وصفاته التي ينبغي أن تكون به وأن يتصف بها.

فلابد أن يكون ذا دين وسِمْعَه وعقلِ وَغَيْرَةٍ وصحة وتميز وفطنة. كما سيأتي بيانه.

كذلك عليه أن يتصف بواجبات كالعدل، مؤدياً الفرائض بعيداً عن المأثم عفيفاً عن المحارم، عالماً، مستغنياً، متمسكاً بوصية سيدنا عمر بن الخطاب في قوله:

ينبغي أن يكون في القاضي خصال ثلاث، لايصانع ولا يضارع ولا يتبع المطامع.

وسيأتي تفصيل هذا في بابه إن شاء الله تعالى في القسم السابع. والله يحفظنا ويعلمنا وإياكم، آمين.



- البيت:

ضمنتُها الفوائدَ المأثورةْ   من قَصصٍ ودُررٍ منثورة

- الشرح:

أقول: وإنني خلال شرحي لهذه القصيدة الفريدة جعلت في ثناياه وضمنها فوائد من قصص فيها العبرة، وحكاية في الفكرة، وجعلتها مكتشفة لهذه المعاني. وإن كانت القصة والعبرة والفكرة فالمقصود منها الاتعاظ والإعتبار.

وأحياناً أذكر القصة القصيرة الصغيرة والتي تحتوي على عبر كثيرة وغزيرة.
وما أكثر القصص الواردة في ذلك وهي منثورة وغزيرة.

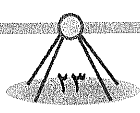
- البيت:

نظمتُ كلَ عشرةٍ موضوعاً   حتى تعمَّ ثم لا تضيعا

- الشرح:

وحتى تكون القصيدة، سهلة كالسلسبيل، وباختصار من غير تطويل، ألبستها زهوراً من الأكاليل، لتقر عين كل صديق وزميل، فقد نظمتها ضمن مواضيع وجعلت لكل موضوع عشرة أبيات من الشعر، والقصد في ذا وذاك، ليعم خيرُها وفضلها وكي لا تضيع من أذهان حافظيها لقصرها واختصارها وهذا هو المقصود والذي بذلت فيه المجهود.

فإذا كانت هي سبعة أبواب لكل باب عشرة أبيات فيكون عدد أبياتها سبعون بيتاً يسهل حفظها لمبتدئ الرجال وطلابها ومنْ نالت إعجابه واستمالت قلبه وعقله، وذلك عدا المقدمة التي ذكرتها لك والله الموفق إلى ذلك.



- البيت:

سـمـيـتُـهـا مــخــافَــة الــديــانِ لـكـلِ قــاضٍ كــان كـالـوسـنـانِ

- الشرح:

إن أهل العلم الأوائل درجوا على تسمية مؤلفاتهم وكتبهم وقصائدهم، وذلك حفظاً لها وتثبيتاً لمعانيها في إفهام عقول القارئين والمحبين.

لذا فقد انتقيت لهذه القصيدة وشرحها إسماً جعلته -عين المسمى- وإذا كان للإسم حظ من المسمى فهو قرة العين وشرحها بستان يسقى من هذا العين.

وأطلقت عليه وسميتها :

قصيدة:

مخافة الديّان في تذكير القاضي الوسنان

- البيت:

وأســألُ المولى الكريمَ النفْعَا لـمـن قَـرا فيها مـريـدَ النفَعا

- الشرح:

وأسأله جل جلاله ان يرفع قارئها الذي يريد أن ينتفع بها. لأن الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها التقطها.

فعسى أن يستجيب الله تعالى لنا الدعاء، إنه على كل شيئ قدير.

وإنني أسأل المولى تعالى سؤال المتضرع المعتقد إعتقاداً جازماً إنه مجيب من دعاه إذ هو مولانا الذي يتولانا برعايته وعنايته وحفظه، ونتولاه بالعبادة والإبتهال

والتوجه والإخلاص. وأسأله تعالى وهو الكريم المتفضل المنعم أن يرفع ويعلي قدر من قرأ هذه المنظومة وعمل بها ووقف على فضائلها واتعظ بما ورد فيها وأراد أن ينتفع بلوامعها وان يثبت على النصائح الواردة فيها.

قيل للإمام الجنيد ﷺ: متى يكون داء النفس دواؤها، قال: إذا خالفت هواها.

- البيت:

والحمدُ لله ختاماً مثلُ ما	بدأتُهُ كانَ الكرامُ العلما

- الشرح:

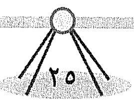
وأحمد الله تعالى في ختام هذه القصيدة حمداً طيباً مباركاً فيه يملأ ما بين السماء والأرض ويملأ ما شاء من شيءٍ بعد، كلنا لك عبد وأفضل ما قال العبد: 'سبحانك لا نحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك'.

وبدأت بالحمد وختمت به حيث هو دأب العلماء الأفاضل والكرماء الأماجد، من أهل العلم والمعرفة،

وذلك شكراً لله وثناء له.

- البيت:

ثم الصلاة والسلام سرمداً	على نبينا المختار ابدا
وآله وصحبه الأطهار	والوالدين وصحبنا الأخيار
رب أوزعني لشكرِ نعمتك	واختم إلهي عمرنا برحمتك



- الشرح:

ثم الصلاة على رسول الله ﷺ النبي الأمي نور الدجى وبل الصدى. ما تعاقب الليل والنهار، وما اختلف الملوان. ومادامت السماوات والأرضين وعلى آله الأطهار الذي نرجو أن نكون منهم وعلى نهجهم وعلى أصحابه الأبرار رضي الله عنهم، الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، وعلى والدينا الذين لهم منة علينا فنرجو برهم وفضلهم، ربِ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه واصلح في ذريتي إني تبت إليك وإنني من المسلمين

والحمد لله رب العالمين.



القسم الأول
الحكم بأمر الله تعالى

واحكم بأمرِ الله جازماً ولا ... تخشَ كبيراً أو وزيراً أو بِلا

وعُدٌ من الحكيمِ حُبُّ المقسطِ ... إنَّ حكْمُهُ عدلٌ فعِ لا تقنط

فاقضِ بما جاءَ به الكتابُ ... أو سنةٌ حتى يكُ الصوابُ

واقضِ كما قال عليٌّ ومضى ... في يمَنِ حينَ ابتعاثِه قضى

حكم الذي لا يقضي فيما أمرا ... كفر وظلم ثم فسق لا مرا

وحاذرِ الحكمَ بظنٍ محتمِل ... ولا نُحابِ بشراً مهما عمِل

إنَّ حكَمَ القاضي بعدلٍ قد وردْ ... معيةُ اللهِ لهُ ذا لا يُردْ

وأمةٌ لا يلمعُ الحقُ بها ... لا قُدستْ وَعدٌ فكن منتبهاً

إن القضَا فيهِ ابتلاءٌ يُعلمُ ... إذْ من نَجا منه فذاك المكْرَمُ

فسلمِ الأمرَ لربِّ الناسِ ... ثم استَعِذْ من الغويِ الخناسِ

شرح

الحكم بأمر الله تعالى

البيت:

واحكم بأمرِ الله جازماً ولا ... تخشَ كبيراً أو وزيراً أو بِلا

- **الشرح:**

قلت أيها القاضي النبيه، إذا حكمت، أو قضيت فاحكم بأمر الله تعالى في كتابه العظيم، واقضِ ما أنت قاضٍ بالحق والصواب، وذلك كما أمر الله تعالى في كتابه العظيم وبلغه لنا رسوله الكريم، قال تعالى مُخاطباً نبيه ﷺ:

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾ ﴾[1]

وقال تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾[2]

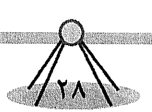
وقال تعالى حكاية عن الخصمين إذ تسورا المحراب: ﴿ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ ﴾[3].

---

(١) سورة النساء: الآية ١٠٥

(٢) سورة ص: الآية ٢٦

(٣) سورة ص: الآية ٢١ - ٢٢



والمراد أن يقضي القاضي بالحق والعدل بين الناس متأسياً بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

والقضاء لُغةً: هو الحكم والأداء والإنهاء والتقدير(١)، وقد وردت مادة قضى في القرآن بصيغ مختلفة حتى بلغتْ ثلاثاً وستين بمعانٍ عديدة(٢)، وقد وردت بمعنى فعل الأمر قولاً كان أو فعلاً.

فمن **القول**: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾(٣) أي أمر.

ومن **الفعل**: ﴿ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ ﴾(٤) أي أوجدها وأبدعها.

والعدل هو: العدالة والإعتدال والإستقامة والميل إلى الحق.

والعدل نستطيع القول عنه: انه الأمر المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط.

ومن اصطلاح الفقهاء: العادل هو من اجتنب الكبائر، ولم يصر على الصغائر وغلب صوابه، واجتنب الأفعال الخسيسة.

كذلك من يبتعد عما يخل بالمروءة؛

قلت:

والعدلُ من يجتنب الكبائرا   وغالباً من يتقي الصغائرا

وعليه فإن القضاء أمرٌ جليل، وكبير وخطير، ومن ناله وابتُلي به، وحاز هذا المقام يستعين بالله تعالى، ويحكم بأمره وحكمه، وأمر وحكم رسوله ﷺ الذي فيه الحق المبين والعدل والخير والنور، لأن القاضي هو خليفة الله في أرضه.

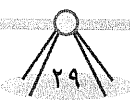
---

(١) مختار الصحاح مادة قضى.

(٢) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٢٣

(٤) سورة فصلت: الآية ١٢



أيها القاضي النبيه:

فإذا حُكِّمْتَ وحَكَمْتَ عليك أن تحكم بالحق والعدل والجزم، ولا تعدل في حكمك عن الحق الذي جهدت وجاهدت من أجله، وبذلتَ قصارى جهدك وأسهرت ليلك وفكرتَ نهارك.

والقاضي كما معلوم ومعروف مُعَرَّض دائماً لهزات واختبارات من هنا وهناك، وهذا امتحان وابتلاء ليميزَ الله الخبيث من الطيب، وليبين أن ما ينفع الناس يبقيه في الأرض ويجعل حكمه خيراً للبلاد والعباد، وليقيم الخير على يديه.

وإياكَ ثم إياكَ أن تخاف أو تخشى أحداً من العالمين كبيراً كان أو صغيراً، أميراً أو وزيراً، نائباً أو مديراً، مهما علت رتبته، واشتدتْ قوتُه، وعظم سلطانُه، فتحيف في حكمك، أو يتطرق إليك الشيطان فيجد في ذلك سبيلاً للنفاذ.

بل أنت أقوى وأعلى وأعظم.

كما إنك قد تتعرض للبلاء والفتن والتهديد - وما أكثرها في عصرنا، عصر جفاف الحق- ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠ ﴾[1].

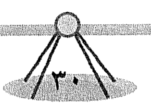
وإياك والجوْر ومراعاة الخواطر والوساطات الفاسدة، والمداهنة لمن علا شأنه.

فأنت أنتَ بالله تحكم، وبأمر الله تقضي، وهو القوي المستعان، فاصدع بما تؤمر واعرض عمن أراد أن يثني عزمك قال تعالى:

﴿ فَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَوَكِّلِينَ ﴾[2]

(١) سورة الروم: الآية ٦٠

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٩



وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : **'من وُلِّيَ القضاء أو جُعِلَ قاضياً فقد ذُبِح بغير سكين'**[1].

وفيه إشارة إلى الهلاك وشدة الألم، والتحذير من الهموم على القضاء بدون تعقل، حتى لا يغير الهوى -القاضي- فيحكم بغير حكم الله تعالى فيدخل النار.

وقال بعضهم في تفسير هذا الحديث تفسيراً معاصراً: إن القاضي لكثرة بذله وجهده ومشقته، وما يلاقي من اختلاج النفس والضمير عند صدور الأحكام، يتولد عنْدهُ ألمٌ شديد نفسي وجسدي وروحي وقلبي، وذلك تقديراً ومهابةً وتعظيماً للأمانة التي يحملها، عندها يصاب بالذبحة الصدرية والإحساس القلبي والإضطراب النفسي وغيرها من أمراض القلب -حساً ومعنى- أكثر من غيره وهذا أمر يمكن تأكيده والتثبت منه بالشواهد كثيرة التي رأيناها وسمعناها.

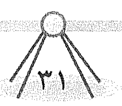
قال رسول الله ﷺ: **'من حكم بين اثنين تحاكما إليه وارتضياه فلم يقضِ بينهما بالحق فعليه لعنة الله'**.

وعن أبي حازم قال: 'دخل عمر على أبي بكر رضوان الله عليهما فسلم عليه فلم يرد عليه فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: أخاف ان يكون وجد عليَّ خليفة رسول الله، فكلَّم عبد الرحمن أبا بكر، فقال: أتاني وبين يدي خصمان قد فرَّغت لهما قلبي وسمعي وبصري وعلمت أن الله سائلي عنهما وعمَّا قالا'.

موعظة:

ادعى رجل على علي عند عمر رضي الله عنهما وعلي جالس فالتفت عمر إليه فقال: يا أبا الحسن قم فاجلس مع خصمك، فتناظرا، وانصرف الرجل ورجع علي إلى مجلسه فتبين لعمر التغيير في وجه علي فقال: يا أبا الحسن ما لي أراك متغيراً

(١) رواه الترمذي في صحيحه.



أكرهتَ ما كان؟ قال: نعم، قال: وما ذاك؟ قال: كنيتني بحضرة خصمي، هلا قلتَ يا علي قم فاجلس مع خصمك!، فأخذ عمر برأس علي رضي الله عنهما فقبله بين عينيه ثم قال: بأبي أنتم، بكم هدانا الله وبكم أخرجنا من الظلمات إلى النور.

وعن أبي حنيفة ﷺ قال: القاضي كالغريق في البحر الأخضر إلى متى يسبح إن كان سابحاً.

وأراد عمر بن هبيرة أن يولي أبا حنيفة ﷺ القضاء فأبى فحلف ليضربنه بالسياط وليسجننه، فضربه حتى انتفخ وجه أبي حنيفة ورأسه من الضرب فقال: الضرب بالسياط في الدنيا أهون علي من الضرب بمقامع الحديد في الآخرة.

وعن عبد الملك بن عمير عن رجل من أهل اليمن قال: أقبل سيل باليمن في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ فكشف عن باب مغلق فظنناه كنزاً فكتبنا إلى أبي بكر ﷺ فكتب إلينا: لا تحركوه حتى يقدم إليكم كتابي ثم فتح فإذا برجل على سرير عليه سبعون حلة منسوجة بالذهب وفي يده اليمنى لوح مكتوب فيه هذان البيتان.

إذا خان الأمير وكاتباه ... وقاضي الأرض داهن في القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل ... لقاضي الأرض من قاضي السماء

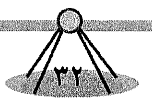
وإذا عند رأسه سيف أشد خضرة من البقلة مكتوب عليه هذا سيف عاد بن إرم والله أعلم أعزُّ وأكرم.

وعن ابن أبي أوفى عن النبي ﷺ أنه قال: **"أن الله مع القاضي ما لم يجُرّ فإذا جار برئ منه ولزمه الشيطان"**.(١)

وعن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: **"القضاة جسور للناس يمرون على ظهورهم يوم القيامة"**(٢).

(١) رواه الترمذي

(٢) رواه -----------



وقيل أول من أظهر الجور من القضاة بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، كان أمير البصرة قاضياً فيها وكان يقول: أن الرجلين يتقدمان إلي فأجد أحدهما أخف على قلبي من الآخر فأقضي له.

أقول: وهل هذا قضاء؟ بل هذا هوى وميل وحيف وظلم!

- البيت:

وعْــدٌ من الحكيمِ حُـبُّ المقسطِ   إنَّ حـكْـمُـهُ عــدلٌ فــعِ لا تقنطِ

- الشرح:

قلت: إن المولى تبارك وتعالى -وهو الحكيم العدل- قد قطع وعداً على نفسه ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾﴾[1] بأنه يحب الحاكم والقاضي الذي يحكم بالقسط ويعدل في حكمه، لذا قال جلّ جلاله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾﴾[2] ولا يخلف الله الميعاد.

والمراد من محبة الله تعالى، أي أنه يرضى ويوفق من كان مقسطاً حكماً عدلاً، ولا يجور في الحكم بل يكون متصفاً، يُلبسُ حكمَه ثوبَ الحق والصدق والنزاهة.

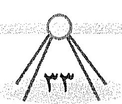
لأن الظلم في الحكم والأحكام والبعد عن الحق والعدل ظلمات في الدنيا الآخرة، كما أنه يضيع الكثيرَ الكثيرَ من حقوق العباد والبلاد ويتحول الحق باطلاً وبالعكس وهذا يلقي على الناس بتبعاتٍ لم يكتسبوها، وأعمال لم يقترفوها. قال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾﴾[3].

---

(١) سورة النساء: الآية ١٢٢

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٢

(٣) سورة النساء: الآية ١١٢



وقال رسولنا الكريم ﷺ: **'من اقتطع حق امرئٍ مسلم بيمينه أوجب الله له النار، وحرّم عليه الجنة'**، فقال رجل يارسول الله ولو كانَ شيئاً يسيراً، قال : **'وإن كان قضيباً من أراك'**[1].

لذلك فإن المحبة والرضا من الله تعالى الذَيْنِ يكتسبهما القاضي العادل والحاكم المقسط هما فضل وتوفيق من المولى عز وجل.

وكي يكتسب القاضي والحاكم هذه المحبة، ويصل بها إلى الدرجات العلى وتفتح لها الآفاق، وينظر بنور الله، ويعطى فراسة الصادقين ويكون من المحدثين الملهمين ومن أهل البصيرة النافذين، فليسمع هذا الحديث الكريم:

فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **'إنكم تختصمون إلي وإنما أنا بشر ولعل بعضكم أن يكون ألْحَنَ بحجته من بعض، وأنا أقضي بينكم على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه شيئاً فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من نار جهنم يأتي بها يوم القيامة'**[2] .

وقد بوَّبَ البخاري باباً في صحيحه فقال:

باب من قُضى له بحق أخيه فلا يأخذه فإن قضاء الحاكم لا يحلُّ حراماً ولا يحرِّم حلالاً.

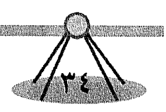
وكذلك عليه أن يلتزم بأمور خمسة:

أولاً: أن يعلم أن الله تعالى مطلع عليه، ويراه وأنه يسمع ويعلم ويرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الملساء في الليلة الظلماء، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، فلا يغفل عنه ولا عن غيره طرفة عين.

ثانياً: أن يتقي الله تعالى في حكمه وإبرامه ويسأل الله التوفيق في ذلك، كي يصل

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه، والإمام أحمد

(٢) رواه الإمام أحمد، والبخاري وغيرهما.



إلى الحق والعدل ويخرج من عهدة المسؤولية الملقاة على عاتقه، والأمانة التي يحملها.

وتقوى الله تعالى يكمن فيها السرُّ المقرون بالسداد والتوفيق.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢﴾ [١] ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤﴾ [٢].

روى سيدنا بريد[٣] رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

'القضاةُ ثلاثة، إثنان في النار وواحد في الجنة.

رجل عرف الحق فقضى به فهو في الجنة.

ورجل عرف الحق فلم يقضِ به وجار في الحكم فهو في النار.

ورجل لم يعرفِ الحق فقضى للناس على جهل فهو في النار'.[٤]

وعن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **'لتأتينَّ على القاضي العدل يوم القيامة ساعةٌ يتمنى أنه لم يقضِ بين اثنين في تمرةٍ قط'**[٥].

ثالثاً: أن يُطهر ظاهره بحسن الأعمال والأقوال، وباطنة بلوامع الأحوال، وأن يطبق الأمور الشرعية ظاهراً وباطناً، سراً وجهراً. فإذا بلغ هذا المقام ظهرت ينابيع الأحكام المسددة على يديه، وقَبِل الناس أحكامه وحكمه.

رابعاً: أن يكتسب الحلال الخالص ويسعى على كسب الرزق من مظانه التي

---

(١) سورة الطلاق الآية ٢

(٢) سورة الطلاق الآية ٤

(٣) بريدة الأسلمي، من أهل بيعة الرضوان ومات بمرو في إمرة يزيد بن معاوية.

(٤) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

(٥) رواه الإمام أحمد البيهقي، وذكره المنذري في الترغيب والترهيب.

تحفُّها الطهارة والعفاف، فلا يأكل ولا يدَّخِر إلا الحلال حتى ينير الله قلبه وجوارحه؛ قال تعالى: ﴿ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا ﴾[1]

وذكر صاحب قوت القلوب: أنه ورد في الخبر من أكل الحلال أربعين يوماً نوّر الله قلبه، وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه، أخرجه أبو نعيم ويُعْمَل به في فضائل الأعمال، ويقال: من أكل حلالاً وعمل في سنة فهو من أبدال هذه الأمة.

فما بالك بالأحكام التي يكتبها ويستنبط الحق من بين ثناياها، ومتعلقة بدفع الظُلامات عن الناس والخلق ورد الحقوق إلى أصحابها.

خامساً: أن يبتعد عن مواطن الشبه والإختلاطات الفاسدة التي تُظلم القلب وتعكر النفس، وتشوش الأذهان وتجر الأوهام، والكدورات والمعكرات.

فينبغي أن يكون قلب القاضي - فضلاً عن ظاهره- نقياً سليماً رقيقاً رفيقاً، حتى يكتسب العبارة، وتلوح عليه علامات الإشارة.

فانتبه أيها القاضي الرشيد، وعِ ما قلتُ من رأي سديد، واستفِد مما أشرح واذكر وأغوص فيه، وخذ منه بينك وبين نفسك - ما صفا وعلا، ورقَّ ودقَّ.

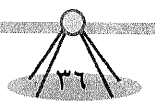
وإياك وإياك أن تقنط وتقول لن نجد في عصرنا من يحمل تلك الصفات الراقيات، والسمات الواضحات بل ربما يكمن الخير مدة ويظهر بعدها للملأ لينشر في قلوب الخلق الثقة والعدل والطمأنينة.

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾[2].

---

(١) سورة المائدة: الآية ٨٨

(٢) سورة الحجر الآية: ٥٥



- البيت:

فـاقـضِ بمـا جـاء بـه الـكـتـابُ أو سـنـةُ حـتـى يـكُ الـصـوابُ

- الشرح:

قلت: إن القاضي الفطن هو الذي خاض معترك الزمن، وقلبته نوائب الأيام فاكتسب حنكةً وحكمةً، فألآن عريكة الأحكام، وطُوِّعت له الأدلة والبيان، وسِيقت له البراهين، وأخذ من أبواب الزمن ونوافذه خبرةً رائدةً.

ومن كانتْ هذه صفاته وطبيعته يجعلُ إمَامَهُ وقدوتُهُ ومكان استنباط أحكامه وقضاءه كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، وذلك ضمانة له من الخطأ، وعصمة من الزيغ، وعدم الإخلال في الحكم، والضياع في القضايا.

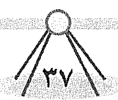
قال رسول الله ﷺ: **'تركت فيكم أمرين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا أبدً كتاب الله وسنتي'**[1].

فعلى القاضي الفطن المسدد أن يقضي بكتاب الله تعالى، لأنه كالشمس وضحاها، ويحكم بسنة رسول الله ﷺ لأنه كالقمر إذا تلاها، وبما جاء عن الصحابة الكرام الذين أخذوا أحكامهم عن رسولنا الأكرم لأنهم كالنجوم تضيئ الطريق للسالكين. فإن جاء القاضي ما ليس في كتاب الله ظاهراً أو في سنة رسول الله مبيناً، فليقضِ ما ألهمه الله تعالى من اجتهاد ونورانية وفي الحديث: **'إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران وإذا حكم واجتهد ثم اخطأ فله أجر'**[2].

ولن يلازم القاضيَ الحكمُ المنشود، والذي يسعى إليه بصلاحه وتقواه كي يضع

(١) رواه مالك بالموطأ

(٢) رواه الإمام مسلم.



الحق في نصابه، ويعيده إلى أصحابه، إلا إذا كانت أدلَّته على النهج الذي سبق، والميزان الذي اتسق، حتى تتكامل جوانبه وتتسم بالحق مطالبه.

- **البيت:**

واقـــضِ كـمـا قـــال عـلـي ومضىٰ   فــي يـمــنِ حـيـن ابـتـعـاثـه قضىٰ

- **الشرح:**

قلت: وما مضى من معانٍ راقيةٍ، ونصائح راضية، يصل فيها القاضي إلى الحق والنور، لأنه جعل لب الحكام المستنبطة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة ﷺ. لأنهم نقلوا لنا الدين وعلومه وأحكامه. ومنهم سيدنا معاذ بن جبل ﷺ لما بعثه رسول الله ﷺ قاضياً إلى اليمن فسأله وقال: '**كيف تقضي؟**

فقال: بما في كتاب الله،

قال: **فإن لم يكن ما في كتاب الله؟**

قال: فبسنة رسول الله ﷺ،

قال: **فإن لم يكن في سنة رسول الله ﷺ**،

قال: أجتهد رأي،

قال: **الحمد لله الذي وفق رسول رسولهِ إلىٰ ما يرضي الله ورسوله**'(١).

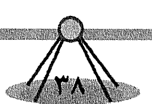
وقد أوصى رسول الله ﷺ علياً ﷺ بوصايا منها قوله:

'**إذا تقاضىٰ إليك رجلان فلا تقضي للأول حتىٰ تسمع كلام الآخر فسوف تدري كيف تقضي**'(٢).

قال سيدنا علي ﷺ: 'فما زلتُ قاضياً بعدُ'.

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه الترمذي



وهذا التوجيه من رسول الله ﷺ يدل على عمق الفهم، والنظر الثاقب، وليبقى القاضي في جلاله وجماله، حاضر الذهن وقَّاد الفكرة والبصيرة.

- **البيت:**

حكم الـذي لا يقضي فيما أمـرا   كـفـرٌ وظـلـمٌ ثـم فـسـقٌ لا مِـرا

- **الشرح:**

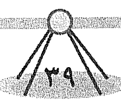
قلت: إن القاضي الذي لا يحكم بما أمر الله تعالى ورسوله ﷺ ويخالف في حكمه منتقلاً إلى حكم غيرهما ومعتقداً صلاحيته دونَهما، وزاعماً أن ما أمر به، أو حكم به، هو الصواب والحق، وأن أمرهما وحكمهما لا يوافق العصر، أو لا يتوافق مع قضايا الزمن والناس، وذلك كجهلة بعض القضاة المتفرقون في البلدان والذين يُحَكِّمون القوانين الوضعية ويحكمون ويقضون بها بين الناس معتقدين رفعتها وعلوها على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فهؤلاء قد نفى الله تعالى عنهم الإيمان وجعلهم في مصَّاف أهل الضلال وقال عنهم:

- ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[1]
- ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾
- ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾

كما أقسم تبارك وتعالى بأنهم لا يكتسبون صفة الإيمان حتى يجعلوا نصب اعينهم حكم الله تعالى -كتابه- وحكم رسول الله عليه الصلاة والسلام-سنتَه- فقد قال تعالى:

---

(١) سورة المائدة الأية (٤٤ و ٥٥ و ٤٧)



﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾[١].

- **البيت:**

وحـــاذرِ الـحـكـمَ بـظـنٍ محتمِلِ ولا تُـحـابِ بـشـراً مهما عمِل

- **الشرح:**

قلت: الظن هو الإعتقاد الراجح مع احتمال النقيض؛

ويستعمل في اليقين، كقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[٢]؛

ويستعمل في الشك كقوله تعالى: ﴿ اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ ﴾[٣]

واحذر أيها القاضي، حذر الحصيف المفكر الواعي، في حكمك وقضاؤك، بأن تصدر احكاماً، أو أن تحكم قولاً، أو تقضي مبرماً، وأنت غير متمكن في الحكم والقضاء، فتصدر الحكم وقد لفَّه الظن والشك وتعتقد أنه راجح مع احتمال النقيض.

بل عليك أن تصدر ذلك الحكم والقضاء بصيغة الجزم واليقين.

وإياك ثم إياك أن تحابي الناس في الأحكام وذلك على حساب المظلومين وتحت إسم الدين والقضاء والقانون.

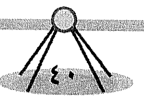
ولا تلتفت إلى أهل الأهواء والغايات، ولا تمل إليهم ميلاً كي يرضوا ويصلوا إلى مقاصدهم مهما صالوا وجالوا وتواسطوا.

---

(١) سورة النساء الآية: ٦٥

(٢) سورة البقرة الآية: ٤٦

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٢



فأثبت على اليقين والعزم، ولا تُعِرْ هذا الصنف اهتماماً ورعاية، بل توكل على الله المطلع على السرائر والضمائر لأنه من توكل على الله كفاه.

وعن جابر بن عبد الله ﷺ في كلمة عمر بن الخطاب في الواجب على القاضي قال ﷺ:-في المدعى-: والله لا أدع حقاً لشان يظهر ولا لضدٍ يُحتمل، ولا محاباة لبشر، وذلك إن الله قدم إلي فآيسني من أن يقبل مني إلا الحق، وآمنني إلا مِنْ نفسه، فليس بي حاجة إلى أحد'[1].

- البيت:

إنَّ حكم القاضي بعدل قد ورد ‏ ‏ ‏ ‏ معية الله له ذا لا يرد

- الشرح:

قال رسول الله ﷺ: '**الله مع القاضي ما لم يَجُرْ، فإذا جار تبرأ الله منه ولزمه الشيطان**'، وفي رواية: '**تخلى الله عنه**'.

إعلم أرشدك المولى، أن الله تعالى قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ ﴾[2]

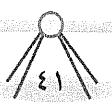
وورد عن النبي ﷺ أنه قال: '**عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة**'[3].

لذا فإن القاضي الصالح الذي يلازم حكمَه العدلُ والإنصاف قد خَصَّهُ الشرع الشريف بصفة لازمة له ما حكم بالعدل والحق فتكون معية الله تعالى ومعونته معه،

(١) أخبار القضاة

(٢) سورة النحل: الآية ٩٠

(٣) رواه ابن ماجة، عن عبد الله بن أبي أوفى.



فإذا كان كذلك فقد غرس المولى الإيمان في قلبه، وابتعد عن الجور والظلم، وتنحى الشيطان -عن حكمه وعدله- مابين المغرب والمشرق.

وينبغي له أن لا يكترث بشيءٍ مطلقاً مع معونة الله تعالى ومعيته.

وعن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه[1] أنه كان يقول: 'لأن أقضي يوماً وأوافق فيه الحق والعدل، أحب إلي من غزو سنه'[2].

قصة فيها عبرة:

يروى أن إمرأة يهودية هدم عمرو بن العاص بيتها إذ ضمه إلى المسجد، فشكت أمرها إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه- فأرسل إلى أمير مصر عمرو بن العاص أن يهدم المسجد ويعيد إلى تلك العجوز اليهودية بيتها، ولما همَّ عمرو بن العاص بالتنفيذ نهته العجوز صاحبة البيت، فقالت: والله لا يهدم المسجد، ثم وهبت بيتها لبيت الله ودخلت في الإسلام.

هذا موقف يقوم به الدليل الناصع على مدى حفاظ الإسلام على حقوق الناس مهما كانت مللهم واتجاهاتهم، وأن العدالة الإسلامية تشمل الصديق والعدو، ولا تمييز بين الناس.

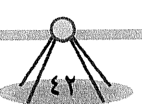
وإني أسوق لك بعض الأحاديث التي ينبغي أن يتخذها كلُ قاض ميزاناً، يزن به قلبه وعقله وضميره.

روى البزار والبيهقي وغيرهما مرفوعاً: '**السلطان ظل الله تعالى في الأرض يأوي**

---

(١) اسلم عبد الله بن مسعود في مكة وهاجر إلى المدينة وشهد المشاهد كلها، وهو أحد حفاظ القرآن ومن فقهاء الصحابة، وقال عنه عمر: كنيف – وعاء – ملئ علماً، وبعثه على الكوفة معلماً القرآن والشريعة، وتوفي في المدينة سنة ٣٢هـ.

(٢) رواه البهقي في السنن.



إليه كل مظلوم من عباده فإن عدل كان له الأجر وكان على الرعية الشكر وإن جار أو خاف أو ظلم كان عليه الوزر وعلى الرعية الصبر وإذا جارت الولاة قحطت السماء وإذا منعت الزكاة هلكت المواشي'.

وروى الحاكم مرفوعاً وقال صحيح على شرط مسلم: 'ما بخس قوم المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان، ولا يحكم أمراؤهم بغير ما أنزل الله إلا سلط الله عليهم عدوهم فاستنقذوا بعض ما في أيديهم، وما عطلوا كتاب الله وسنة نبيه إلا جعل الله بأسهم بينهم'

وروى أبو داوود مرفوعاً: 'من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله على جوره فله الجنة، وإن غلب جوره عدله فله النار'

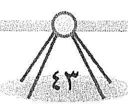
وروى ابن حبان في صحيحه مرفوعاً: 'ما من والي ثلاثة إلا لقي الله مغلولةً يمينه فله عدله أو غله جوره'.

وروى الطبراني وابن خزيمة في صحيحه وغيرهما مرفوعاً: 'إني أخاف على أمتي من أعمال ثلاثة قالوا: وما هي يا رسول الله؟ قال: زلة عالم وحكم جائر وهوى متبع'

وروى مسلم والنسائي وأبو عوانه في صحيحة مرفوعاً: 'اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم فأشقق عليه ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فأرفق به'.

وروى الطبراني وغيره مرفوعاً ورجاله رجال الصحيح: 'من ولي شيئاً من أمر المسلمين لم ينظر الله تعالى في حاجته حتى ينظر في حاجتهم'.

وروى الطبراني مرفوعاً: 'من ولي من أمر المسلمين شيئاً فغشهم فهو في النار'.



وفي رواية أبي داود مرفوعاً: 'من ولاه الله شيئاً من أمر المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله عنه دون حاجته وخلته وفقرة'.

- البيت:

إذْ أمـــةٌ لا يـلـمـعُ الـحـقُ بها لا قُـدســتْ وعــدٌ فـكـنْ متنبهاً

- الشرح:

إن كرامة الأمة وقدسيتها ورفعتها أن يحكم فيها بالعدل والحق.

وما هلاك الأمم السابقة التي جعل المولى فيها المثلات والإعتبارات إلا لأنها ظلمتْ وجارتْ فاستحقت اللعن والطرد والعذاب.

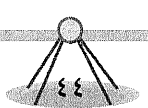
وفي الحديث: '**لعن الله بني اسرائيل كان إذا سرق فيهم الغني تركوه وإذا سرق فيهم الوضيع قطعوه**'[١]. أي لم يحكموا بالحق والعدل ولم يقيموا الحد الواجب على الغني السارق ولم يعاقبوه وأقاموا الحد الواجب على الفقير الضعيف وعاقبوه، هذا عين الظلم والجور، إذ الحكم الصحيح، والحق القاطع الذي لم يختلف فيه إثنان أن تسوى الأحكام والقضاء على كل سارق ومنتهك لشرع الله تعالى سواء كان غنياً، أو فقيراً.

لذا روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: '**لا قدست أمة لا يقضى فيها بالحق**'[٢].

---

(١) رواه النسائي في سننه.

(٢) رواه الطبراني ورجاله ثقات.



وكون الأمة لا يقضى فيها بالحق، ولا يظهر ظهور لمعان البرق في السماء، واضح للعيان فهي تعرض نفسها للخطر والمهانة والإنحطاط.

ويسري هذا الحكم الكلي من الأمة إلى الحكم الجزئي من الأفراد. وهذا وعيد رسولنا الأكرم بالمهانة والذل لمن لم يلتزم بالحق قضاء بين الأمم والجماعات والأفراد كي يعود الحق إلى ميزانه وعدله.

فعليك أيها القاضي المحترم أن تنتبه لذلك إذ أغلب قضاة عصرنا في غفلة عن هذا...

والله أعلم وأعز وأكرم.

- البيت:

إن القضاء فيه ابتلاءٌ يُعلم   إذْ من نَجا منه فذاك المكَّرَمُ

- الشرح:

واعلم أيها القاضي هدانا الله وإياك، أن القضاء قد كمن فيه البلاء والإمتحان والإختبار، فمن كان يملك قلباً حافظاً واعياً، وعلماً ثرّاً ورعاً، يحجزه عن الجهل والمحارم، ويثبت في قلبه الرهبة والمخافة من الله تعالى، ورزقه المولى فراسة مميزة يقلبُ فيها الأمور ويتقنها، وفوق هذا يلازمه السداد والرشاد والتوفيق من المولى تبارك وتعالى، فهو العبقري[1] الفذ الذي يُرجى سداده في الأقضية والأحكام.

وهذا أمر بديهي رباني مختار من الله جل جلاله.

وقد ترك الكثير من السلف والخلف، ممن اتصف بالصلاح والتقوى تركوا تسلم سدة القضاء لما فيه من مسؤولية كبرى كما سيأتي بيانه في شرح البيت الآتي، ومن

---

(١) العبقري لغة: هو سيد القوم وكبيرهم وقويهم.

المعلوم أنه ولفساد هذا الزمان، وكثرة الفتن والبلايا والرزايا ينبغي على القاضي العالِم أن يخاف على نفسه وقلبه من أن تزل قدمه أو يهوي في متاهات الدنيا.

وقد قيل: إن زلَّة العالَم من زلة العالِم.

وقيل:

هذا زمان كثرت فيه البدع	واضطربت فيه أنواع الخدع
لا تغتر برجل يطير	ولا فوق ماء البحر يسير
ما لم يقف على حدود الشرع	فذلك مستدرج وبدع
والشرع ميزان الأمور كلها	وحاصل لأصلها وفرعها

وأخبرني الثقة الموثوق فيما مضى من الزمان أن فلاناً كان قد صدَّر نفسه لتسلم سدة قاضي القضاة -وتسلمها- وأقسم (الثقة لي) أنه ملأ جرابه مالاً حراماً عندما كان قاضياً في منطقةٍ ما، وقال كيف تريدون توجيه أعلى وظيفة ورتبة إليه، وهكذا كان، ومات رحمه الله تعالى متأسفاً كاسف البال حزيناً.

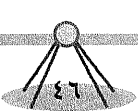
وفي الحديث: **'من ولَّى رجلاً من جماعة وفيهم من هو خير فقد خان الله ورسوله'**[1].

والخلاصة أنه مَنْ نجا من هذه المثالب، وعِظَم المسؤولية، واستطاع أن يفرَّ منها كفراره من الأسد -إذ لا يخلو هذا المقام من الفتن كما ذكرتُ- فهو الأكرم المكرم في الدنيا والآخرة.

قال الشاعر:

إن نصف الناس أعداء لمن	ولي الأحكام هذا إن عدل

(١) ترواه الإمام أحمد بن حنبل من حديث طويل.



- البيت:

فسلمِ الأمرَ لربِّ الناسِ ثم استعذْ من الغوي الخناسِ

- الشرح:

ومع هذا كله، فعليك أن تسلم الأمر لرب العالمين وتعتمد عليه متوكلاً في أمورك كلها، -فهو رب الناس جل جلاله- والعاصم من المهالك والأغواء.

ثم يجب عليك أن تستعيذ بالله تعالى من إبليس الذي يغوي الناس ويضلهم وقد نبهنا ربنا تعالى وحذَّرنا من إغوائه.

وقصَّ علينا خبره فقال حكايةً عنه: ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٣٩ ﴾[1]

قال إبليس بسبب إغوائك وإضلالك لي، أُقسم بعزتك لأزينن لبني آدم المعاصي في الدنيا، ولأضلنهم أجمعين، وأغوينهم من الإغواء، والغَيْ أي الضلال والخيبة.

وإني أذكر لك بعض الصفات والسمات التي ينبغي أن يتصف بها القاضي ويتلمسها، فإن فعل ذلك استحق التصدرَ للقضاء والأحكام فإنها صمام الأمان والحافظ عن مزالق الهوى.

فعليه أن يجتهد في صلاح حاله، فيتمسك بالآداب الشرعية، وأن يكون حافظاً للمروءة عالي الهمة في العبادات، ويتوقى كل ما يؤثر على شخصيته ويشينه في دينه ومروؤته وعقله، وأن يتخلق بالأخلاق القرآنية لأنه قدوة وهو ليس كغيره.

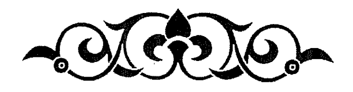
---

(١) سورة الحجر: الآية ٣٩

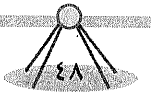
وقد روي عن عمر بن عبد العزيز ﷺ أنه قال: لايَصْلُحُ القاضي إلا أن تكونَ فيه خمسُ خِصال: يكون مهيباً نزيهاً، عفيفاً صالحاً عالماً بما كان قبله من القضاءِ والسنَّة[1].

واعلم فضيلة القاضي أنَّ العيون دائماً تتطلعُ إليكَ، ويتبعُ النَّاس كلَ تصرفٍ تقوم به وأن الفضيلة ينبغي أن تكون ملازمة لكَ لتكسب الفضل فيمن يتبعك، وأُسَّ السنة الخير والاتباع والقدوة، ليكون لك أجرُها وأجرُ من عمل بها إلى يوم القيامة.

والله تعالى أعلم وأعز وأكرم.



(١) أخبار القضاة ١/ ٧٧



القسم الثاني
العدل في الأحكام

واعلم بأن العدل في الأحكامِ	عبادة في غايةِ المرامِ
واعدل كما نص فيه المحكم	مجتنباً ظلماً فأنت الأعلمُ
فاهنأ بخيرٍ ما عدلتَ مدخرٌ	عند المليك برٌ ذا في مستقر
متعظاً من قولةِ العدنانِ	قاضٍ بجنةٍ وقاضيانِ
واحكمْ بعدلٍ واجتنبْ كلَ الهوىٰ	إذ كل مَنْ شطَّ به الحكمُ هوىٰ
إنِ الصلاحُ تمَّ بين المدعي	والمدَّعَىٰ عليه ذا خير حَري
واجعل بذا إمامَك عدلُ عمرْ	إذْ فبه كل فكرةٍ ومعتبرْ
لم يشتك في عهده إثنان كما	أتىٰ بعدل كان فيه الأمثلا
واعدل كما بين الخصومِ مطلقاً	في نظرٍ ومجلسٍ ومنطقا
فحسبُنا العدلُ صفات الباري	كما حكىٰ المختارُ في الأخبار

شرح

العدل في الأحكام

- البيت:

واعلم بأن العدل في الأحكامِ عبادة في غايةِ المرامِ

- الشرح:

أيها القاضي النبيه، صاحب الرأي الحصيف، والقول المنيف، إن عدلك في الأحكام التي تسطرها وتصدرها وتكتبها بأنامل الصدق والحق هي لوامع ومرافع لك يوم الدين وهي عبادة من العبادات وطاعة من الطاعات التي يكتب الله لك بها أجر العابدين الصادقين.

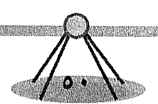
قال تعالى: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ ﴾[1].

والعدالة هي هيئة راسخة وخصوصية مميزة تكمن داخل النفس الصافية الراقية التي لا يشوبها كدورات الأهواء والتنازع والقولة المشهورة أن العدل ميزان الله تعالى في الأرض الذي يؤخذ به للضعيف من القوي، والمحق من المبطل.

وإذا قلنا إن العدل عبادة وطاعة مقصودة فهذا أمر ظاهر بين من تواتر الآيات والأحاديث التي ترغب في العدل والإنصاف وعدم الظلم -كما سيأتي-.

ويكفينا قول رسولنا الأكرم عليه الصلاة والسلام، كما روى أبو داوود في سننة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **ثلاثة لا تُرد دعوتهم، الإمام العادل والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم تُحمل على الغمام، وتفتح لها أبواب السماء**.

(١) سورة النساء: الآية ٥٨



وكتب بعض العاملين لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقال:

"حصِّن مدينتك بالعدل، ونقِ طريقها من الظلم فإنه مرَمَتُها والسلام".

شمولية العدالة في الإسلام:

أمر آخر يجب أن نذكره في هذا المقام وهو أن الإسلام لم يميز في تحقيق العدالة الإنسانية بين المسلم وغيره ... فالمظلوم أيا كان شأنه هو منصور في ظل الإسلام، ولن يهتضم حقه مادامت الكلمة النافذة لدين الله الحق والحكم له في واقع الحياة. وحسبنا أن نقرأ كلام المصطفى محمد ﷺ حيث قال: "**اتقوا دعوة المظلوم ولو كان كافراً**"[1].

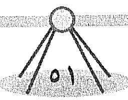
وتطالعنا الترجمة العملية لعدالة المصطفى ﷺ الشاملة واكتنافها الناس جميعاً مسلمين وغير مسلمين بأروع المواقف وأكرم الصور في مضمار العدالات:

ومن ذلك.ما رواه وكيع بسنده عن شريح قال: لما رجع علي من قتال معاوية وجد درعاً افتقده بيد يهودي يبيعها، فقال علي رضي الله عنه: درعي لم أبعِ ولم أهبِ، فقال اليهودي: درعي وفي يدي، فاختصما إلى شريح، فقال له شريح حين ادعى: هل لك بينة؟ قال: قنبر والحسن ابني، قال شريح: شهادة الإبن لا تجوز للأب، وفي رواية أخرى لم يجز أيضا شهادة المولى[2] ... فقال اليهودي: أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه وقاضيه يقضي عليه، أشهد أن هذا الدين على الحق، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن الدرع درعك يا أمير المؤمنين، سقطت منك ليلاً، وتوجه مع علي رضي الله عنه يقاتل معه بالنهروان فقتل.

---

(١) قال المنذري رواه الإمام أحمد بإسناد حسن.

(٢) أخبار القضاة، وكيع/ ٢/ ١٩٤-١٩٥

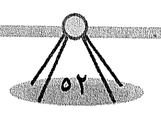


وورد أن قبطياً جاء من مصر إلى عمر بن الخطاب ﷺ فشكا عمرو بن العاص -واليها- وزعم أن الوالي أجرى الخيل فأقبل فرس المصري فحسِبَها محمد بن عمرو بن العاص فرسه وصاح فرسي ورب الكعبة، ثم اقتربت وعرفها صاحبها فغضب محمد بن عمرو ووثب على الرجل يضربه بالسوط ويقول خذها أنا ابن الأكرمين، وبلغ ذلك أباه فخشي أن يشكوه المصري فحبسه زمنا، وما زال محبوساً حتى أفلت وقدم للخليفة لإبلاغه شكواه... قال أنس بن مالك -راوي القصة-: فوالله ما زاد عمر على أن قال له: اجلس... ومضت فترة إذا به قد استقدم عمراً وابنه من مصر فقدما ومَثَلا في مجلس القصاص فنادى عمر: أين ابن المصري؟ دونك الدرة فاضرب بها ابن الأكرمين، فضربه حتى أثخنه ونحن نشتهي أن يضربه فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه، وعمر يقول: اضرب ابن الأكرمين، ثم قال: أجله على صلعة عمرو، فوالله ما ضربك ابنه إلا بفضل سلطانه... قال عمرو فزعاً: يا أمير المؤمنين قد استوفيت واستُفيت، قال المصري: إنما ضربت من ضربني، ثم قال عمر ﷺ: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟[1].

هذا هو المسلم، وهذه هي عقيدته وما يدين به من وجوب العدل بين المتخاصمين من غير أن ينظر إلى مِللهم ولا إلى جنسهم ولا إلى لونهم، الناس أمام القاضي المسلم سواء، عظيمهم وحقيرهم، غنيهم وفقيرهم -هكذا أمره الله سبحانه وهكذا أمره رسوله ﷺ وهكذا هي سنن السلف الصالح-.

---

(١) ذكره في زاد المستنقع وغيره



- **البيت:**

واعـــدل كما نــص فيه المحكمُ   مجتنباً ظـلـمـاً فـأنــت الأعـلـمُ

- **الشرح:**

اعلم أيها القاضي النبيه، إنك مأمور أن تعدل بين الناس وهذا أمر فرضه ربنا تبارك وتعالى، وإن يكون حكمك مستنيراً بيناً بعيداً من الظلم والتعسف والله تعالى قال في كتابه: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[1].

قال الشاعر:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدراً   فالظلم ترجع عقباه إلى الندمِ

تنام عيناك والمظلوم منتبه   يدعو عليك وعين اللهِ لم تنمِ

ولنا في تاريخنا الأمثل، صاحب الصفحات البيضاء المشرقة مع أصحاب العدل والعلم والعقول وقفات ووقفات في موضوع القضاء إذ هو مسؤولية كبرى ومهمة خطيرة؛ وإنْ أصبحت في عصرنا عادة؛ لذلك عليك أن لا تصدر أي حكم أو قرار يتعلق بالمتداعين إلا بعد تمحيص وتفكير وغربلة وتدقيق فيكون حكمك واضحاً كالشمس في رابعة النهار لا يختلف فيه إثنان ولا يتطرق إليه الشك وليس فيه التباس أو أدنى شبهة.

وأن يكون عارياً من الظلم والظالمين.

وقال تعالى: ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾ ﴾[2]

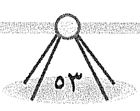
وقال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾[3]

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٤٢

(٢) سورة هود: الآية ١٨

(٣) سورة الكهف: الآية ٢٩



وقال عليه الصلاة والسلام: "**من اقتطع حق امرئ مسلم أوجب الله النار، وحرَّم عليه الجنة. فقال رجل: يا رسول الله ولو كان شيئاً يسيراً، قال: ولو كان قضيباً من أراك**"[1].

وفي الحديث الكريم:

وروي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "**من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله جورهُ فله الجنة ومن غلب جوره عدله فله النار**"[2].

ونادى رجل سليمان بن عبد الملك وهو على المنبر يا سليمان اذكر يوم الأذان فنزل سليمان من على المنبر ودعا بالرجل فقال له ما يوم الأذان؟ فقال: قال الله تعالى: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾[3] قال: فما ظلامتك قال أرض لي بمكان كذا وكذا أخذها وكيلك، فكتب إلى وكيله ادفع إليه أرضه وأرضاً مع أرضه.

عن علقمة عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: "**إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظَلَمَة وأعوان الظَلَمَة وأشياع الظلمة حتى من يرى لهم قلماً أو رق لهم دواة**".

وقال أبو الدرداء: إياك ودمعة اليتيم ودعوة المظلوم، فإنها تسري بالليل والناس نيام.

وإن أسوق لك ما حصل لإمام الأئمة وسيد الفقهاء ومعلم القضاة أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه[4] قال عن أبي يوسف أن ابن هبيرة -وكان والي العراق لمروان بن

(١) رواه مسلم

(٢) رواه ابو داوود بسنده

(٣) سورة الأعراف: الآية ٤٤

(٤) أبو حنيفة النعمان بن ثابت التيمي أبو حنيفة الكوفي مولى بني تيم الله بن ثعلبة وقيل: انه من أبناء فارس، رأى انساً وروى عن

محمد- ضرب أبا حنيفة نحو مائة سوط مفرقة على أن يلي القضاء بالكوفة فأبى فحلف ابن هبيرة ألا يتركه حتى يلي، فكلمه رجال أهل الكوفة: فلم يزالوا به حتى قال أبو حنيفة أنا ألي له عدد ما يدخل الكوفة من أحمال التين والعنب؛ ففعل وخلَّى عنه.

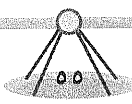
وفي سنن البيهقي قال محمد بن زاهر: بلغني عن أبي يوسف، لما مات سوار قاضي البصرة، دعا أبو جعفر -يعني المنصور- أبا حنيفة فقال له: إن سواراً قد مات وأنه لا بد لهذا المصر (يعني من قاض) فأقبل القضاء فقد وليتك قضاء البصرة، فقال أبو حنيفة: والله الذي لا إله إلا هو لا أصلح للقضاء، وإن كنت كاذباً فما يسعك أن تستقضي رجلاً كاذباً وأنه لا يصلح لهذا الأمر إلا رجلاً من العرب، وقد أصبحت مخالفاً لك، فقال له أبو جعفر: إنك قلت: لا يصلح لهذا الأمر إلا رجلاً من العرب، فإنا نأخذ بما في كتاب الله ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾[1] وليس علينا إلا الجهد في أهل زماننا وأما قولك: أني أصبحت مخالفاً لك الرأي، فإن الرأي يخالف الرأي، فأقبل هذا الأمر، فقال أبو حنيفة: لئن خليت عني وإلا لبيت مكاني الساعة، فما يسعك أن تحبس ملبياً، فخلَّى عنه بعد ذلك.

قصة:

وقال ابن عباس ﷺ أن ملكاً من الملوك خرج يسير في مملكته متنكراً فنزل على رجل له بقرة تحلب قدر ثلاث بقرات فتعجب الملك من ذلك وحدثته نفسه بأخذها فلما كان من الغد حلبت له النصف مما حلبت بالأمس فقال له الملك ما بال حلبها نقص، أرعت في غير مرعاها بالأمس؟ فقال لا ولكن أظن

عطاء بن أبي رباح وغيرهم وروى عنه ابنه حماد وغيره، وكان إماماً ورعاً عالماً لا يقبل جوائز السلطان ولكن يتجر ويتكسب، وهو إمام المذهب الحنفي احد المذاهب الفقهية الأربعة المنتشرة بين أهل السنة، مات سنة ١٥٠ هـ وقيل سنة ١٥١.

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣



أن ملكنا رآها أو وصله خبرها فهمَّ بأخذها فنقص لبنها فإن الملك إذا ظلم أو هم بظلم ذهبت البركة فتاب الملك وعاهد ربه في نفسه أن لا يأخذها ولا يحسد أحداً من الرعية.

• حكاية:

دخل شقيق البلخي على هارون الرشيد فقال: عظني فقال: أن الله تعالى قد أقامك مقام الصِّديق فيريد منك الصدق وأقامك مقام الفاروق فيريد منك أن تفرق بين الحق والباطل وأقامك مقام عثمان فيريد منك الحياء وأقامك مقام علي فيريد منك العدل والعلم.

• البيت:

فاهنأ بخيرِ ما عدلتَ مدخرٌ   عند المليك بِرُ ذا في مستقر

• الشرح:

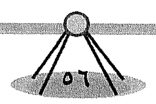
أيها القاضي النبيه، اعلم أن الله عز وجل من أسمائه (العدل) وهو الذي أوصانا أن نتصف بصفاته ونتخلق بأخلاقه، قال رسولنا ﷺ: 'تخلقوا بأخلاق الله'[1] فربنا تبارك وتعالى أعطانا آيات كريمات، ومن أعظمها -وكلها عظيمة- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[2] وما ذلك إلا لتتبع الأمة طريق العدل والخير، ولتقوم بالعدل بين الناس في أحكامهم بالإنصاف وتقوى الله، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨﴾[3].

---

(١) شرح الطحاوية والمقصد الأسمى بفضائل الأعمال.

(٢) سورة النحل: الآية ٩٠

(٣) سورة النساء الآية ٥٨



وقال عز وجل:

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[1].

فالاية أمر من المولى القدير للمؤمنين الصالحين أن يكونوا أمة تفعل الخير وتغرسه في النفوس والمجتمعات وتدعو إليه وتقف بالأمر بالمعروف ليصلح حال الناس وتنهي عن المنكرات.

وقد ذكر الفقهاء وأهل الإستنباط أن هذه الآية هي أولى القواعد الداعية إلى نصب الإمارات والولايات والقضاء.

لأن جميع ذلك مرده ومرجعه ومقعده إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهي إذاً من القواعد الكلية الجامعة التي فيها صلاح البشر وخيرهم في الدنيا والآخرة.

واعلم هدانا الله وإياك و أرشدك أن الله تعالى أمر بالعدل ثم علم سبحانه وتعالى أنه ليس كل النفوس تصلح على العدل بل تطلب الإحسان وهو فوق العدل فقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴾[2] ولو وسع الخلائق العدل ما قرن الله به الإحسان.

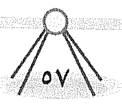
بركة الصدق والعدل:

قال نافع: كنت أسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثيراً يقول ليت شعري من هذا الذي يأتي من ولدي يملأ الأرض عدلاً، وقال: بينما أنا أعس مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلاً إذ سمع امرأة تقول لابنتها اخلطي الحليب في الماء، فقالت: أوليس قد نادى

---

(١) سورة آل عمران الآية: ١٠٤

(٢) سورة النحل : الآية ٩٠



عمر أن لا يُخلط الحليب بالماء قالت: إنه لا يرانا قالت مالنا نطيعه في الملأ ونعصيه في الخفاء؟ فلما أصبح عمر دعا أولاده عبد الله وعبيد الله وعاصماً وعرض عليهم الجارية وقال: لو كان لأبيكم من حركة ما سبقه إليها أحد، فتزوجها عاصم فولدت له بنتاً ثم ولدت البنت بنتاً وهي أم عمر بن عبد العزيز ﷺ.

- ## البيت:

متعظاً من قولةِ العدنانِ ... قاضٍ بجنةٍ وقاضيانِ

- ## الشرح:

أيها القاضي النبيه:

إن كل ماسطرته وذكرته، في هذا الكتيب هو من باب الموعظة لنا ولك ولكل قارئ.

والموعظة: هي الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب، والقول الحق الذي يلين القلوب، ويؤثر في النفوس. ويكبح جماح النفوس المتمردة ويزيد النفس المهذبة إيماناً وهداية. قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾﴾[١]

وقصدت من قولي (متعظاً قولهِ العدنان)، أي قوله ﷺ في الحديث المعروف والمألوف:

'القضاة ثلاثة: واحد في الجنة وإثنان في النار

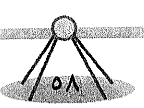
فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به،

ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار'[٢].

---

(١) سورة النساء: الآية ٦٦

(٢) رواه أبو داوود



وأسوق لك هذه الحكاية والقصة مدللاً على ما ذكرته وسطرته:

يروى أنه كان في زمن بني إسرائيل ثلاثة من القضاة فأراد الله تعالى أن يمتحنهم فأرسل الله تعالى ملكين أحدهما على فرس ومعها ولدها والآخر على بقرة فدعا صاحب البقرة المهرة فتبعتْه فقال: راكب الفرس المهرة بنت فرسي، وقال الآخر لا بل بنت بقرتي فتخاصما، ثم ذهب إلى قاضٍ منهم فدفع صاحب البقرة الرِشوة فحكم له بأنها (أي المهرة) بنت البقرة، ثم ذهبا إلى الثاني فدفع له أيضاً الرشوة فحكم له بها أيضاً، فتحاكما إلى الثالث فقال: إني حائض، فقال: الرجل لا يحيض، فقال: كيف تلد البقرة فرساً؟.

فهذا قولهم قاضيان في النار وقاضٍ في الجنة.

- ## البيت:

واحكمْ بعدلٍ واجتنبْ كلَّ الهوىٰ   إذ كل مَـنْ شـطَّ به الحكمُ هوىٰ

- ## الشرح:

أيها القاضي النبيه:

كما أن رسولنا ﷺ قال : ثلاث مهلكات، شحٌّ مطاع وهوى متبع وإعجابُ المرء بنفسه.

هذا التوجيه النبوي العام لكل مؤمن يحمل الإيمان في طياتِ قلبه وبالخصوص إلى من تسلم سدة القضاء كي لا يحكم بهوى النفس التي أمرنا الله عز وجل بتزكيتها وعدم تدنيسها قال تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾[(١)] فعليك أن تحكم بالعدل الذي هو من أهم القواعد والأسس والمبادئ التي تبنى عليها الدول

---

(١) سورة الشمس: الآية ٩ و ١٠

والأمم وتستمر، لأنه يحقق الأمن والأمان والسعادة لدى الأفراد والجماعات في كل مكان.

والإبتعاد عن الحكم المتعلق بهوى النفس أمر واجب بل هو من أوجب الواجبات وقد عرَّف ابن القيم هوى النفس بقوله: الهوى هو ميل النفس إلى الشيئ وفعله

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[1]؛

ويقال إنما سُمِّي هوى لأنه يهوي بصاحبه،

والهوى يكون أحياناً من الشبهات، ويكون من الهوان.

وينبغي أن يغلب العقل الهوى كي يسلم منه ويتوارى عنه.

قال علي بن سهل رحمه الله، العقل والهوى يتنازعان فالتوفيق قرين العقل، والخذلان قرين الهوى، والنفس واقفة بينهما فأيهما غلب كانت النفس معه:

ومن شط به الحكم وابتعد عن الحق الواجب وغرته نفسه والهوى فقد هوى وهلك وضلّ وسيطر عليه الشيطان.

قال البوصيري:

وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتهم

- **البيت:**

إنِ الصلاحُ تمَّ بين المدعي والمدَّعَى عليه ذا خيرٌ حَرِي

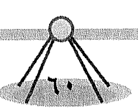
- **الشرح:**

اعلم أيها القاضي النبيه:

إن الله عز وجل أمرنا في كتابه الكريم: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾[2]

(١) سورة النازعات: الآية ٤٠ و ٤١

(٢) سورة الأنفال: الآية ١



وقال: ﴿ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًاۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾[١]

وقد أخبر رسولنا الأكرم بقوله: **'ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة، قالوا: بلى**

قال: إصلاح ذات البَين، فإن فساد ذات البَين هي الحالقة'.

ويروى أنه قال: **'هي الحالقة ولا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين'**[٢].

وأنا أعلم يقيناً ان بعض القضاة جزاهم الله خيراً وكافئهم مكافأة الأبرار، يبذلون الجهد الجهيد، والعمل السديد، والقول الرشيد كيما يتم الصلح بين المتنازعين وهذا من أول الواجبات، وهي خطوة مباركة حث عليها ربنا عز وجل القائل: ﴿ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ﴾[٣] ورغَّبنا بها رسولنا الأكرم بقوله في الحديث عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: **'تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجل كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: أَنْظِروا هذين حتى يصطلحا ثلاث مرات'**[٤].

قال النووي رحمه الله تعالى: 'انْظِروا هذين، أي أخِّرُوهما حتى يرجعا إلى الصلح والمودة'.

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[٥]

فإن أكرمك الله تعالى وأجرى الخير على يديك وذكَّرْتَ المتخاصمين بالآيات والأحاديث، وقرَّبت وجهات نظرهم، ورغبتهم على نبذ الخلاف والفرقة وأن لا ينسوا الفضل بينهم، فهذا من أعلى مراتب الخير التي أجراها الله تعالى على يديك فلك الأجر الجزيل والثناء الوفير.

---

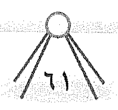
(١) سورة النساء: الآية ١٢٨

(٢) رواه أبو داوود.

(٣) سورة النساء: الآية ١٢٨

(٤) رواه مسلم.

(٥) سورة الروم: الآية ٢١



والخلاصة:

أن الإصلاح بين المتخاصمين شعبة عظيمة من شعب الخير لما فيه من الحفاظ على الألفةِ والمودة، وسلامة القلوب، وهو يعتبر من أجلّ الطاعات وأفضل الصدقات، كما أن المصلح بين الناس له أجر كبير عند الله تعالى.

قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾[1].

والإصلاح المنشود: ينفي التدابر والتخاصم والتباعد والتقاطع.

- ## البيت:

واجعلْ بذا إمامَك عدلُ عمرْ إذْ فيه كلُ فكرةٍ ومعتبَرْ

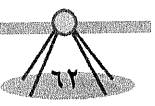
- ## الشرح:

أيها القاضي الذكي النبيه الحصيف:

لو لم يرد الله إظهار الحق على يديك ونصرة المظلوم لما جعلك في هذا المقام الكبير إذ مقامك حيث أقامك، وهذا إكرام من الله تعالى لرفع درجات القاضي العادل. وانا أذكرك أن تجعل أمَامَك وإِمامَك عمرَ بن الخطاب وعدلَه حيث ذكر في أخبار القضاء من طريق معمر بن محارب، قال: لمَّا استُخْلِفَ أبو بكر استعمل عمر بن الخطاب على القضاء، وأبا عبيدة على بيت المال، فمكث عمر سنة لا يتقدم إليه أحد[2].

(١) سورة النساء: الآية ١١٤

(٢) ذكر ذلك في السنن الكبرى والترمذي



وما حصل في تولية عمر بن الخطاب ﷺ القضاء إذ لم يأتيه خصمان مدة سنة لهو دلالة واضحة بينة على صدق الوالي والمتولي ومن والاهم من الرعية حيث ساد العدل والحق والصفاء والوفاء، ووقف كل امرئ عند حدوده وعلم ما له وما عليه.

وهذا كله يجعل القاضي النزيه -والمراقب لله تبارك وتعالى-:

يعمل فكره في ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[(١)]

ويعمل عقله في ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾﴾[(٢)]

ويعملون قلبه في ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾[(٣)]

ويعمل سمعه وبصره في ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[(٤)]

وأن أبا بكر ﷺ وأرضاه عيَّن عمر بن الخطاب ﷺ وأرضاه- قاضياً فلم يختصم إليه إثنانٍ ولم يعقد جلسة واحدة. عندها طلب من أبي بكر إعفاءه من القضاء؛ فقال أبو بكر: 'أمن مشقة القضاء تطلب الإعفاء يا عمر؟' قال عمر: 'لا يا خليفة رسول الله ﷺ ولكن لا حاجة بي عند قوم مؤمنين، عرف كل منهم ما له من حق فلم يطلب أكثر منه وما عليه من واجب فلم يقصر في أدائه، واحب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه، إذا غاب أحدهم تفقدوه وإذا مرض عادوه، وإذا افتقر أعانوه وإذا احتاج ساعدوه وإذا أصيب عزوه وواسوه، دينهم النصيحة، وخلقهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ففيم يختصمون؟ ففيم يختصمون؟'.

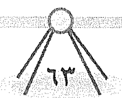
---

(١) سورة النحل: الآية ٤٤

(٢) سورة يس: الآية ٦٨

(٣) سورة ق: الآية ٣٧

(٤) سورة الإسراء: الآية ٣٦



- البيت:

لـم يشتك فـي عـهـده إثـنـان كما أتـــى بـعـدل كــان فـيـه الأمـثـلا

- الشرح:

واذكر لك وصية عمر بن الخطاب ﷺ التي كانت دلالة واضحة على عدله وصدقه حيث جرت على صفات التاريخ مجرى المثل حيث كان فيها الأمثل.

حدثنا ادريس أبو عبدالله بن إدريس؟ قال: أتيت سعيد من أبي بردة، فسألته عن رسائل عمر بن الخطاب التي كان يكتب بها إلى أبي موسى الأشعري، وكان أبو موسى قد أوصى إلى أبي بردة، وأخرج إليَّ كتاباً، فرأيت في كتاب منها:

أما بعد: فإن القضاء فريضة محكمة، وسنة متَّبعة، فافهم إذا أُدْلِيَ إليك وأنفذ إذا تبين لك فلا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له، واسِ بين الإثنين في مجلسك، ووجهك حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس وضيع (وربما قال ضعيف) من عدلك! الفهم الفهم فيما يتلجلج في صدرك (وربما قال في نفسك) ويشكل عليك؛ ما لم ينزل في الكتاب، ولم تجربه سنة، واعرف الأشباه والأمثال، ثم قس الأمور بعضها ببعض، فانظر أقربها إلى الله، وأشبهها بالحق فاتبعه، واعمد إليه، لا يمنعك قضاء قضيته بالأمس راجعت به نفسك وهديت فيه لرشدك فإن مراجعة الحق خير من التمادي في الباطل. المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً صبراً أو مجرباً عليه شهادة زور، أو ظنيناً ولاء قرابة، واجعل لمن ادعى حقاً غائباً وأمداً ينتهي إليه، أو بينة عادلة، فإنه أثبت الحجة، وأبلغ في العذر، فإن أحضر بينة إلى ذلك الأجل أخذ بحقه، البينة على من ادعى واليمين على من أنكر، وإن الله تعالى تولى منكم السرائر، ودرأ عنكم الشبهات، وإياك والغلق والضجر، والتأذى بالناس، والتنكر للخصم في مجالس القضاء التي يوجب الله فيها الأجر ويحسن فيها الذخر، من حسنت نيته، وخلصت فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بين الناس، والصلح جائز فيما بين الناس، إلا ما أحل حراماً أو حرَّم حلالاً، ومن تزين للناس بما يعلم الله

منه غير ذلك شانه الله تعالى، فإن الله لا يقبل من عبده إلا ما كان خالصاً فما ظنك بثواب الله عزَّ وجل وعاجل رزقه وخزائن رحمته والسلام عليك ورحمة الله.

أيها القاضي النبيه: هذه الرسالة ينبغي أن تكتب بماء الذهب الخالص وليت رؤساء المحاكم، يطبعونها بخط كبير وواضح وتعلق كلماتها على أقواس المحاكم ليراها القاصي والداني.

لأنها جمعت الخير كل الخير فيما يتعلق بالقضاء من جميع جوانبه.

فجزى الله سبحانه وتعالى العادل سيدنا عمر بن الخطاب الذي استنار بنور النبوة فأخرج منها اللآلي الصادقة النيرة.

والأحاديث متواترة في هذه التوجيه النبوي والإرشاد من رسولنا محمد ﷺ.

فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: '**إذا ابتلي أحدُكم في القضاء فلا يجلس أحد الخصمين مجلساً لا يُجلِسه صاحبه** وإذا ابتلي أحدُكم بقضاءِ فليتقِ الله في مجلسه وفي لَحْظِه وفي إشارته'[(١)].

وعن ابن عباس في قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ﴾[(٢)] قال الرجلان يجلسان عند القاضي فيكون كيّ القاضي وإعراضه لأحدهما دونه الآخر[(٣)].

قال رسول الله ﷺ: '**إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر**'[(٤)].

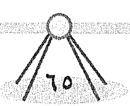
قوله '**إذا حكم فاجتهد**' يعني أراد الحكم فاجتهد، يعني بذل وسعه في الوصول إلى الحق فأصاب فله أجران: أجر على اجتهاده، وأجر على إصابته. وإذا حكم فاجتهد

(١) رواه الدارقطني والطبراني والبيهقي بألفاظ مختلفة.

(٢) سورة طه: الآية ٦١

(٣) ذكره الألوسي في روح المعاني.

(٤) رواه النسائي



وأخطأ فله أجر واحد على اجتهاده، وخطؤه مغفور مرفوع عنه الإثم. وهذا الحديث واضح الدلالة على أنه ليس كل مجتهد مصيباً؛ لأن النبي ﷺ قسَّم المجتهدين إلى قسمين: مصيب ومخطئ ولو كان كل مجتهد مصيباً لما كان لهذا التقسيم من فائدة.

- **البيت:**

واعـدل كما بين الخصومِ مطلقاً   فـي نـظـرِ ومـجـلـسٍ ومنطقا

- **الشرح:**

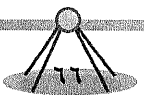
إن العدل بين المتخاصمين أَمَرَ به الإسلام وحثَّ عليه، ليكون القاضي في ذلك متصفاً بصفة العدل بين الخصوم فيسوي بينهم في النظر والمجلس والكلام ويوازن بين مطالبهم صدقاً وعدلاً.

يجب على القاضي أن يسوي بين الخصمين في الدخول عليه وسائر أنواع الإكرام حتى لو سلم أحدهما لا يرد عليه حتى يسلم الآخر فيرد عليهما ولا بأس أن يقول له سلم فإذا سلم أجابهما ويجلس أحدهما على يمينه والآخر عن يساره وبين يديه أولى فإذا ازدحم خصوم عند القاضي قدم الأسبق والعبرة بسبق المدعي لا المدعى عليه.

ويكره له أن يقضي حال جوع أو عطش وفرح وحزن شديدين وملالة ومدافعة أخبثين ونعاس وحضور طعام يتوق إليه وغضب.

وعليك أيها القاضي النبيه فهم المتنازعين فهماً دقيقاً فيه العلم والواقعية والوقوف على البيِّنات وما يقدمه كل من أدلَّة تُظهر تأييده، ثم إذا ظهرت البينات كالشمس واضحات، تسأل ربُّ الأرضين والسماوات أن يوفقك للحكم حسب الواقعات والظاهرات، فتقضي حسبما استبان لك من وقائع وبينة، وما رزقك الله إياه من فهمٍ وعلمٍ مقرون بالمخافة والتقوى ومحاطاً بالأصول الأربعة المتفق عليها:

١- الكتاب   ٢- السُّنة   ٣-الإجماع   ٤-القياس.



- البيت:

فحسبُنا العدلُ صفاتُ الباري   كما حكى المختارُ في الأخبار

- الشرح:

يكفيك أيها القاضي المكرم أن الله تعالى الباري من صفاته العدل لأن معناه: هو الذي يضع كل شيء موضعه، وهو عينُ الإنصاف.

وتعلقُ هذه الصفات عدم الظلم والجور والحيف وعدم الإجحاف في حق أحد مهما كان شأنه.

وقد عرَّفه بعضهم: عدم فعل القبيح وعدم الإخلال بالواجب، وعدم التكليف بما لا مصلحة فيه.

كما أن العدل هو الإثابة عل الحسنة بالحسنة ومعاقبة السيئة بالسيئة، وهو بين صفات الفعل والصفات الثبوتية وفيه الكمال المطلق لله تبارك وتعالى.

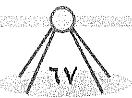
قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[1] قال مجاهد: 'القسط من العدل والمقسط هو العادل'

فالله تعالى:

- عدل في خلقه
- وعدل في تشريعه.
- وعدل في أمره التكويني.
- وعدل في أفعاله.

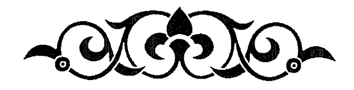
وقد ورد في أحاديث عديدة أتت على ذكر هذه الصفة المجيدة عن رسولنا محمد ﷺ، ومنها حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسولنا الأكرم: '**ما من أمير على عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولاً لا يَفُكُّهُ إلا العدل أو يُوبِقُهُ الجُور**'.

(١) سورة الأنبياء: الآية ٤٧



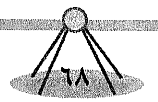
وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "**إن لله تسعة وتسعين إسماً مِئةً غَيْرَ واحدٍ من أحصاها دخل الجنة، هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفّار القهّار الوهاب الرزاق الفتّاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرؤف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور**"[1].

وروى أحمد في مسنده قال الصحابي معقل بن يسار قال رسول الله ﷺ: "لا يلبث الجور بعدي إلا قليلاً، حتى يطلع فكلما طلع من الجور شيئ ذهب من العدل مثلُه حتى يولد في الجور مَنْ لا يعرف غيره ثم يأتي الله بالعدل فكلما جاء من العدل شيئ ذهب من الجور مثله حتى يولد في العدل من لا يعرف غيره"[2].



(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده.



القسم الثالث

الحكم المرتجل بلا روية

إيَّـاكَ والحكمَ السريعَ المرتجِل	بـلا رويـــةٍ فــذَا لا يـكْـتَـمِـلْ
مـــردٌّ ذا تـــداخـــلُ الـقـضـايـا	بـبـعـضِـهـا فـتـحـصـلُ الـبَـلايـا
بــلْ ردُّ كـــلِ مـــدَّعٍ وخـصـمَـا	عسىٰ يرىٰ الصلحُ الطريقَ الأسَما
فـإن بَـدا كالشمسِ واضـحُ العُلا	فاحكمْ له بالحقِ لا تخشَ البِلا
وافـتـكـرْ بـالـقـلـبِ ثـمَّ الـعـقـلِ	معتمداً في الحكمِ جُـلَّ النقلِ
فالحكمُ يـحـتـاجُ لعقلٍ يـدركُ	حتىٰ يـكُ الحقُ المبينُ المدركُ
لا عيبَ إن شاورتَ جا في المحكمِ	في كـلِ مشكلٍ وخـشـيَ المأثمِ
واعــتـبـرْ وصـيـةَ الـحـكـيـمِ	شــاورِ وذا لـمـطـلـقِ التعليمِ
فـقـد عـهـدنـا حَـشَـفـاً ورطـبـا	إذ لا يميز الـعـود حتىٰ الحطبا
واخـتـرِ الأيـسـرَ فيما قـد علمْ	مـن كـتـبِ الـقـوم وذا فقه فهمْ

شرح

الحكم المرتجل بلا روية

- **البيت:**

إيَّـاك والحكم السريع المرتجل　　　بـلا رويـة فـذا لا يكتمل

- **الشرح:**

أيها القاضي الحصيف، إني أسأل المولى العظيم أن يسدد حكمك ويزيد علمك وأن يكتب لحكمك التوفيق، وإياك ثم إياك أن تحكم بحكم سريع من غير روية ولا استبصار، وإياك والعجلة والسرعة في الحكم. وتذكر جزاءك الموفور يوم أن يتذكر الناس قول الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾[2].

والإرتجال[3] هو الحكم من غير تهيئة، وبلا روية، إذ القاضي الحاذق مهما أوتي من علم في الأحكام، ودراية في منافذ الحكم ومداخله، فلا بدّ أن يتمهل في حكمه ويدرسه قبل إعلانه من جميع جوانبه حتى لا ينقض ولا يُخالف، عندئذ يكون حكمه شاملاً كاملاً مقبولاً غير منقوص ولا مرفوض.

كما أنه لا بد من فهم المتنازعين فهماً دقيقاً والوقوف على شكوى كل واحد منهما خشية الألتباس والإستبيان الواضح على ما يقدمه كل واحد من أدلة سواء كان بنفسه أو محاميه أو وكيلة حتى تظهر لك الأدلة واضحة بينة، ثم إذا ظهرت وتوضحت كالشمس في رابعة النهار مع تقييمك للوقائع والبحث والتدقيق واقتباس

(١) سورة الأنبياء: الآية ٩٠

(٢) سورة السجدة: الآية ١٧

(٣) يقال: ارتجل الخطبة، والشعر ابتداؤه من غير تهيئة وروية.

لب المشكلة بين المتنازعيين والتحري عن صدقهما، عند ذلك أسال رب الأرضين والسموات أن يوفقك ويسدد حكمك حسب الواقعات الظاهرات، وما رزقك الله إياه من فهم وعلم مقروناً بالمخافة والتقوى، ومحاطاً بالأدلة المتفق عليها من الكتاب والسنة والإجماع والقياس والمصالح المرسلة ووقائع الحياة الإجتماعية والقوانين التي تخدم العباد والبلاد.

- البيت:

مــــردٌّ ذا تــداخـــل الـقـضـايـا ببعضها فتحصل البلايا

- الشرح:

أيها القاضي الذكي الحصيف، إياك أن تستهين أوتستغرب قولي لك، انتبه لا تتسرع في الحكم ولا ترتجله، فإن القضايا لكثرة ملفاتها وغزارة معطياتها، ولتشارك قضاياها وكثرة تداخلها، يحتاج القاضي وفي أكثر الأحيان إلى تبصر واستبصار وإلى تفكر واعتبار، وإذا لم يتسم القاضي، ولم يتصف بهذه الأوصاف فقد يخطئ ككل ابن آدم ويحكم سريعاً ومرتجلاً؛ وقد رأينا وسمعنا عبر صفحات الزمن والتاريخ البلايا التي تحصل من جراء ذلك.

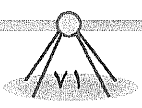
بــل رُدَّ كــل مـــدَّعٍ وخـصـمـا عسىٰ يرىٰ الصلحُ الطريقَ الأسما

- الشرح:

الصلح هو في اللغة إسم من المصالحة وهي المسألة بعد المنازعة.

وفي الشريعة عقد يرفع النزاع.

أيها القاضي الحصيف، إذا اشتبهت عليك الأمور والأحوال ورغبت في مصالحة الخصمين وهذا من أولى واجبات القاضي، فرد الخصمين وأجل الدعوتين كي



تصلح من الفريقين، وصدق من قال: ردوا الخصوم حتى يصطلحوا، عسى أن يجد الصلح إلى القلبين طريقاً ويستبصر واحد منهما الحقيقة.

وهذه هي الأخلاق الإسلامية والعدالة الربانية التي أمرنا بها الإسلام خاصة وأن النفوس المؤمنة تواقة إلى الحق، وقريبة إلى الخير، والمصالحة هي من أفضل القربات والطاعات.

قال تعالى: ﴿إِن يُرِيدَآ إِصۡلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيۡنَهُمَآ﴾[1]؛ وقال: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٌ﴾[2].

وكم من متخاصمين بحكمة القاضي ورويته عادا إلى الحق والتعاون بينهما.

وكم من متخاصمين قذف الله تعالى في قلبيهما حب الصلح والمصالحة بصدق القاضي وتوجيهه وإرشاده.

وكم من متخاصمين عادت الألفة والمحبة بعد حلول الخصام والتشاحن.

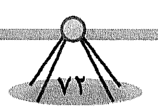
وكم من متخاصمين قضت عليهم الأيام والسنون فخالفت بينهما وجافى كل واحد منهما الآخر، وبحكمة القاضي الحصيف والتوجيه الحنيف عاد كل واحد منهما إلى صوابه ورد الحق إلى أصحابه.

ولك أن تستأنس بما يلي:

١. أن ترد الخصوم حتى يصطلحوا، وربما يهون التنازع.
٢. التريث والتبصر عند اشتباه أمورهم واستيهام حقوقهم.
٣. أن تلازم بين الخصمين بالمواجهة الحكيمة فإنه أدعى لعدم التجاحد.
٤. السماع من شهادة المستورين عدا شهادة المعدلين وذلك عند الارتياب.

(١) سورية النساء: الآية ٣٥

(٢) سورة النساء: الآية ١٢٨



أيها القاضي الذكي النبيه بهذه المعاني استطاع المسلمون الأوائل أن يكتبوا صفحة العدالة الناصعة في ظل هدي سيدنا محمد ﷺ لتقرأها الأجيال البشرية في كل زمان ويدرسها مفكرو الدنيا دراسة إعجاب وتقدير وإجلال، حتى تنطلق ألسنتهم معترفة بالحقيقة الإسلامية التي تجسدت واقعاً حياً في حياة المسلمين السابقين، وقد قال البروفيسور ستوبارت: 'لم أجد أمة قامت فيها العدالة كما رأيت بأمة محمد وخلفائه'.

هذه هي عدالة سيدنا محمد ﷺ وأتباعه.

هذه هي عدالة الإسلام دين الله الحق.

العدالة الحقة:

لذا فإنني أقول: لم تنتشر العدالة في الإسلام على صعيد الأفراد فحسب بل انتشرت أيضاً على صعيد الأقوام والشعوب.

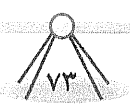
ومن شواهد ذلك ما ذكره ابن الأثير في تاريخه من أمر أهل سمرقند أن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كتب إلى سليمان بن أبي السري: أن أعمل خانات في بلادك، فمن مرّ بك من المسلمين فأقرُوه يوماً وليلة وتعهدوا دوابهم، ومن كانت به عله فاقروه يومين وليلتين، وإن كان منقطعاً به فأبلغه بلده.

فلما أتاه كتاب عمر، قال أهل سمرقند لسليمان:

'إن قتيبة ظلمنا وغدر بنا فأخذ بلادنا، وقد أظهر الله العدل والإنصاف، فأذن لنا فليفد منا وفد إلى أمير المؤمنين'.

فأذن لهم، فوجهوا وفداً إلى عمر، فكتب لهم عمر:

إن أهل سمرقند شكوا ظلماً أصابهم وتحاملاً من قتيبة عليهم حتى أخرجهم



من أرضِهم، فإذا أتاك كتابي فأجلس لهم القاضي فلينظر في أمرهم، فإن قضى لهم، فأخرج العرب إلى معسكرهم كما كانوا من قبل أن يظهر عليهم.

قال: فأجلس لهم سليمان جُمَيع بن حاضر القاضي، فقضى أن يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم وينابذوهم على سواء، فيكون صلحاً جديداً أو ظفراً عنوة.

فقال أهل الوفد: بل نرضى بما كان ولا نحدث حرباً، وتراضوا بذلك.

بهذه المواقف وأمثالها يتضح للعالم كله بلا جدال إنه ما كان لحق أن يضيع في ظل الإسلام، وإنه ما كان للعدالة أن تنتكس أعلامها بعد أن نصب رسول الله ﷺ ميزانها بين الناس، وسار على هديها أصحابه ومن اتبعوهم بإحسان حيث كان رائد حركتهم في الحياة قوله سبحانه: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾[1].

- البيت:

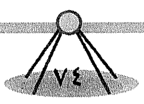
فإن بدا كالشمسِ واضحَ العلا ... فاحكمْ له بالحق لا تخشَ البِلا

- الشرح:

أيها القاضي الحصيف:

إن بدا لك الحكم واضحاً كالشمس في رابعة النهار، لا يختلف فيه إثنان، وإنه واضح المعاني والدلالة، ثابت الحكم مبين ظاهر، لا يتطرق إليه الشك من قريب او بعيد، فاحكم بالحق الواضح البيِّن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومهما تداخل الوسطاء، وتطاول الأفرقاء، ووضعتْ أمامك حواجز الإبتلاء فاحكم

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢١



ولا تخشَ أحداً. واصدح بالحق والحكم ولا تبالي. فإنك منصور من الله مؤيد من قبله، وتمثل قول رسولنا الأكرم: '**فإنك تقضي بالحق ولا يقضىٰ عليك**'.

- البيت:

وافتكر بالقلبِ ثم العقلِ	معتمداً في الحكم جُلَّ النقل
فالحكم يحتاج لعقلٍ يدركُ	حتىٰ يكُ الحق المبين المدركُ

- الشرح:

أيها القاضي الذكي النبيه: سأسوق إليك بعض ما ورد في العقل على سبيل الترغيب والإستئناس.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: '**أول ما خلق الله تعالىٰ العقل قال له: أقبل فاقبل ثم قال له: أدبر فأدبر فقال -عزَّ من قائل-: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً أعز عليَّ منك، بك آخذ وأعطي وبك أحاسب وبك أعاقب**'[1].

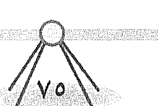
وقال أهل المعرفة والعلم: العقل جوهر مضيء خلقه الله عز وجل في الدماغ، وجعل نوره في القلب، يدرك به المعلومات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة.

واعلم أن العقل ينقسم إلى قسمين، قسم لا يقبل الزيادة والنقصان وقسم يقبلهما:

- فأما الأول فهو العقل الغريزي المشترك بين العقلاء.
- وأما الثاني فهو العقل التجريبي وهو مكتسب وتحصيل زيادته لكثرة التجارب والوقائع، وباعتبار هذه الحالة يقال أن الشيخ أكمل عقلاً وأتم دراية، وأن صاحب التجارب أكثر فهماً وأرجح معرفة.

واختلف العلماء في ماهية فقال قوم هو نور وضعه الله طبعاً وغريزة في القلب

(١) ذكره في شعب الإيمان للترغيب.



كالنور في العين، وهو يزيد وينقص ويذهب ويعود، كما يدرك بالبصر شواهد الأمور كذلك يدرك بنور القلب المحجوب والمستور، وعمى القلب كعمى البصر قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[1].

والقلب محل العقل في الدماغ وهو قول أبو حنيفة رحمه الله تعالى وذهب جماعة إلى إنه في القلب كما روى الشافعي رحمه الله تعالى واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾[2] أي عقل، وقالوا التجربة مرآة العقل، ولذلك حُمِدَت آراء المشايخ حتى قالوا: المشايخ أشجار الوقار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم فهم، وعليكم بأراء الشيوخ فإنهم إن عدلوا ذكاء الطبع فقد أفادتهم الأيام خبرةً وتجربة.

قال الشاعر:

ألـم تـر أن الـعـقـل زيـن لأهـلـه ... ولكن تمام العقل طول التجارب

وقال آخر:

إذا طال عمر المرء في غير آفة ... أفادت له الأيام في مرها عقلاً

وقد نصَّ الله تعالى في محكم كتابه العزيز ومنزل خطابه الوجيز على شرف العقل وقد ضرب الله سبحانه وتعالى الأمثال وأوضحها وبيَّن بدائع مصنوعاته وشرحها فقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ﴾[3].

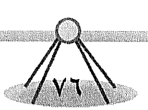
ثم بعد ذلك قال منبهاً بأن إدراك أمثال هذه العجائب من خلقه لا يدركها إلا أهل

---

(١) سورة الحج: الآية ٤٦

(٢) سورة ق: الآية ٣٧

(٣) سورة النحل: الآية ١٢



العقل والفهم فقال: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[1] واختلف أهل العلم والعقل، هل العلم أفضل أم العقل؟

فأتى أحدهم ونظم ذلك في سلك الفوائد فقال:

علم العليم وعقل العاقل اختلفا ... من ذا الذي منهما قد أحرز الشرفا

فقال العلم أنا قد حزت غايته ... وقال العقل أنا الرحمن بي عرفا

فأفصح العلم أفصاحاً وقال له ... بأينا الله في تنزيله اتصفا

فبان للعقل أن العلم سيده ... فقبّل العقل رأس العلم وانصرفا

وصاحب العقل يضع دوماً العدل في نصابه، ويرجع الحق لأصحابه، خاصة أن اكتسب التجارب من دهره وحياته.

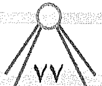
قصة فيها عبرة وعقل وفهم وتوفيق من الله تعالى:

يروى أن رجلين دخلا على داوود عليه السلام أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث فقال أحدهما: إن هذا دخلت غنمه بالليل إلى حرثي فأهلكته وأكلته ولم تبقِ لي فيه شيئاً فقال داوود عليه السلام: الغنم لصاحب الحرث عوضاً عن حرثه، فلما خرجا من عنده مرّا على سليمان عليه السلام وقالا له ما قاله ولده سليمان؛

فدعاه داوود عليه السلام وقال له: ما هو الأرفق بالفريقين فقال سليمان: تسلم الغنم إلى صاحب الحرث وكان الحرث كرماً تدلت عناقيده في قول أكثر المفسرين فيأخذ صاحب الكرم الغنم يأكل لبنها وينتفع بدرها ونسلها ويسلم الكرم إلى صاحب الأغنام ليقوم به فإذا عاد الكرم إلى هيئته وصورته التي كان عليها ليلة دخلت الغنم إليه سلم صاحب الكرم الغنم إلى صاحبها وتسلم كرمه كما كان بعناقيده وصورته، فقال له داوود: القضاء كما قلت، وحكم به كما قال سليمان عليه السلام. وفي هذه القصة

---

(١) سورة الرعد: الآية ٤



نزل قوله تعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾[1] لم تحصل لسليمان لكثرة التجربة وطول المدة، بل حصلت بعناية ربانية وألطاف إلهية، وإذا قذف الله تعالى شيئاً من أنوار مواهبه في قلب من يشاء من خَلْقِه اهتدى إلى مواقع الصواب ورجح على ذوي التجارب والإكتساب في كثير من الأسباب.

- البيت:

لا عيب إن شاورت جا في المحكم	في كل مشكل وخشيَ المأثمِ
واعتبر وصية الحكيم	شاور وذا لمطلَقِ التعليمِ

- الشرح:

يقال في اللغة شار العسل أي استخرجه مِنَ الوقْبَة واجتناه، والشْورةُ الحسن والهيئة واللباس والمخبر والتجربة؛

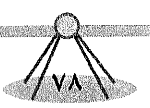
والمشيرة: هي الإصبع التي يقال لها سبابة، ويقال للسبابتين المشيرتان، وأشار عليه بأمر كذا أمره به.

والشورى: هي التشاور مع المؤمنين في أمورهم العامة والخاصة، دون تفرد، أو استبداد بالرأي، كامر الخلافة أو الولاية أو القضاء والشؤون الخاصة وهي واجبة لقوله تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[2].

وعن عمر بن عثمان بن عبد الرحمن بن سعيد قال: أخبرني جدي قال: رأيت عثمان بن عفان في المسجد إذ جاءه الخصمان قال لهذا: اذهب فادع علياً، وللآخر

(١) سورة الأنبياء: الآية ٧٨ و ٧٩

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٩



فادع طلحة بن عبد الله، والزبير، وعبد الرحمن فجاؤوا فجلسوا، فقال لهما: تلكما، ثم يقبل عليهم فيقول: أشيروا علي، فإن قالوا ما يوافق رأيه أمضاه عليهم وإلا نظر، فيقومون مسلِّمين[1].

الرأي والمشورة:

ما خاب من استخار ولا ندم من استشار وما افتقر من اقتصد.

- وقيل: من أعجب برأيه ضل ومن استغنى بعقله زل.
- وقال حكيم: المشورة موكل بها التوفيق لصواب الرأي.
- وقال الحسن: الناس ثلاثة فرجل رجل، ورجل نصف رجل، ورجل لا رجل، فاما الرجل الرجل فذوا الرأي والمشورة، وأما الرجل الذي هو نصف رجل فالذي له رأي ولا يشاور، وأما الرجل الذي ليس برجل فالذي ليس رأي ولايشاور.

في المشورة والنصيحة والتجارب والنظر في العواقب.

- قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾[2] واختلف أهل التأويل أمر الله تعالى لنبيه بالمشاورة مع ما أمده الله تعالى به من التوفيق وذلك على ثلاثة أوجه:

أحدهما: أنه أمره بالمشاوره لما علم فيها من الفضل، وهذا قول الضحاك.

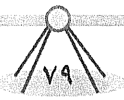
ثانيها: أنه أمره بها في الحرب ليستقر له الرأي الصحيح فيعمل عليه وهذا قول الحسن.

ثالثها: أنه أمره بمشاورتهم ليَسْتَنَّ به المسلمون وأن كان في غنية عن مشورتهم وهذا قول سفيان.

---

(١) رواه البيهقي في سننه في باب (من يشاور) من كتاب أدب القاضي.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٩



وقيل ينبغي أن يكون المستشار صحيح العلم مهذب الرأي فليس كل عالم يعرف الرأي والصائب وكم من ناقد في شيئ ضعيف أو غيره.

وإني ناصح القاضي الحصيف النبيه أن لا يانف من المشاورة فإنه أجدى أن لا يقع في المأثم، قال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ ﴾[1]

والخطيئة تكون عن عمد وعن خطأ.

والإثم لا يكون إلا عن عمد.

ثم يتهم به بريئاً فقد حمل بصعوبة ذنباً كبيراً وافتراءً و بهتاناً.

والبهتان: الكذب على البريء بما لم يصدر منه.

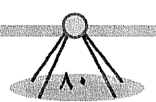
حسن التخلص من الاتهام

من ذلك ما حُكي أن الحجاج خرج يوماً في نزهه، فلما فرغ من نزهته صرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه، فإذا هو بشيخ من بني عجل، فقال له: من أين أيها الشيخ؟ قال: من هذه القرية، قال: كيف ترون عمَّالكم؟ قال: شر عمَّال يظلمون الناس ويستحلون أموالهم، قال: فكيف قولك في الحجاج. قال: ذاك ما وَلِيَ العِراقَ شرٌّ منه، قبَّحهُ الله وقبَّحَ من استعمله، قال: أتعرف من أنا؟ قال: لا، قال: أنا الحجاج، قال: جُعِلتُ فِداك أوَ تعرف من أنا؟ قال: لا، قال: أنا فلان بن فلان مجنون بني عجل أُصرَعُ في كل يوم مرتين، قال: فضحك الحجاجُ منه وأمرَ لهُ بمال.

حكمة العاقل

وقال ملك لوزيره: ما خيرُ ما يرزقه العبد؟ قال: عقل يعيش به، قال: فإن عدمه، قال: أدبٌ يتحلَّى به، قال: فإن عدمه؟ قال مال يستره، قال: فإن عدمه؟، قال: فصاعقة تحرقُه وتريح منه العباد والبلاد.

(١) سورة النساء:الآية ١١٢



موعظة

قيل: خطب المأمون فقال: اتقوا الله عباد الله وأنتم في مهل، بادروا الأجل ولا يغرَّنكم الأمل، فكأني بالموت قد نزل، فشغلت المرء شواغله وتولت عنه فواصله، وهيأت أكفانه، وبكاه أهله وجيرانه وصار إلى التراب الخالي، بجسده البالي فهو في التراب عفير وإلى ما قدم فقير.

وقال ابن عيينه: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أمراً شاور فيه الرجال.

ومن أعطى المشورة لم يُمنع الصواب.

ولا بد أن يكون من تستشيره قد تحلَّى بصفات عليا، وسمات مثلى:

- **أولاها**: أن يكون صحيح التجارب ذو عقل حصيف ورأي منيف.
- **ثانيها**: أن يكون ناقداً بناءً وطبيباً مشخصاً وصيدلياً وصَّافاً.
- **ثالثاً**: أن يكون تقياً نقياً ورعاً له حال مع الله تعالى.

- ## البيت:

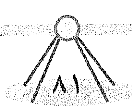
فقد عهدنا حَشَفَاً وَرطَبَا   إذ لا يميز العود حتى الحطَبا

- ## الشرح:

أيها القاضي الذكي الحصيف:

إن العبرة فيما تقدم من نصائح نهتدي بها في ظلمات ومتاهات هذه الحياة الصعبة خاصة في القضاء وأحكامه مع الدقائق والضوائق التي يمر بها القاضي أعانه الله تعالى.

ونحن إذ مرَّ علينا زمن، وسرت علينا أجزاء من الدهر فقد رأينا فيه وسمعنا العجبَ العجاب في مجتمعاتنا وحياتنا، إذ عهدنا أحكاماً من بعضهم ما أنزل الله بها من سلطان، وخطايا يندي لها الجبين، وتتفطر لها الأفئدة. إذا أراد بعضهم أن يجعل الجبال من القضايا صغاراً، والصغار من القضايا جبالاً.ويتخذ من الرمال حبالاً. يموه



على الناس في تصوراتهم وأعمالهم، ويخلط الأمور عليهم ليبتعد عن طريق الحق والهدى ويتبع طريق الباطل والردى.

شبهت هذه الأحكام بالحشف[1] وهو الرديء من التمر.

وبناء على ذلك فقد عهدنا قوماً من هؤلاء القضاة الذي رحلوا إلى ربهم يخلط بين الحشف وهو الرديء من التمر وبين التمر الرطب الطيب الصالح وشتان بين هذا وذاك.

وأمثال هؤلاء طمسَ المولى بصائرهم وأعمى المال عيونهم فلم يميزوا بين العود العابق الرائحة وبين الحطب الذي لا يسمن ولا يغني من جوع فانتبه... .

- **البيت:**

واختـــر الأيــســرَ فيما قــد عُـلـمْ　　　مــنْ كُـتـبِ الـقـومِ وذا فقهٌ فُهِمْ

- **الشرح:**

أيها القاضي الذكي الحصيف:

إن الله تعالى رفع الحرج عن أمّة سيدنا محمد ﷺ فقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾[2]

ورسولنا الأكرم عليه الصلاة والسلام، في كثير من المواقف كان يقول: '**إنما بعثتم مبشرين ولم تبعثوا معسرين**'[3]، '**يسروا ولا تعسروا بشروا ولا تنفروا**'[4].

وعليه عليك أيها القاضي أن تختار الحكم الأسهل والأيسر على الناس إذ الشدة لا تأتي بخير، ونحن قد أمرنا ديننا بذلك.

وإذا حكم القاضي باليسر بين المتداعين فهذا دلالة على سعة فقهة وعلمه ومعرفته ودرايته.

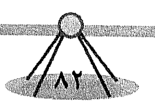
كما أنه دلالة على الفرج الذي فيه رفع الحرج.

(١) الحشفُ من التمر: ما يبسَ وصلُب وفسد لا طعم له ولا لحاء ولا حلاوة. والحشفُ أردأُ التمر. وفي المثل: أحشفاً وسوء كيله؟

(٢) سورة الحج: الآية ٧٨

(٣) رواه النسائي

(٤) رواه البخاري



القسم الرابع

حكم الرشوة

واحــذرْ أمــوراً وابتغ فيها النجاةْ متقياً لـعنَ الـرشَـا جُـلَّ الحياةْ

إذ حكمُها الـلـعنُ لـكـلِ راشـي ومـرتـشـي هـذا بـلاء قـد فَـشِـي

ثم الرشا في الحكم سحتٌ يشتعلْ أولـىٰ بـه الـنـارُ إليـهـا لا تـمِـلْ

وافـتـكـرْ فـي منتهىٰ الـذل الـذي تـبـقىٰ أسـيـرَهُ وذا لا ينتهي

إذ تـجـعـلُ الـحـرَ الأمـيـنَ عبدا يـأتـي ويـومـاً للحساب فَـرْداً

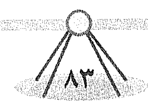
كـم غـيـرتْ حـقـاً بـبـاطـل بَـدَا وأورثـــتْ حـقـداً وضُـراً سـرمَـدا

ثـم أرفـضـنْ مـن مـدَّعٍ هـديـهْ فـإنـهـا كـالـرشـوة الـمـخـفـيـةْ

ولـن تـزولَ الـقـدمَ كـمـا وردْ عـن أربـعٍ سـؤالُـه ذا لا مَـردْ

وواجـب توليةُ القاضي الـورعْ حـتىٰ يـكُ عـن الـرشـاء ممتنعْ

وابـكِ علىٰ أهـلِ التقىٰ والـورعِ مـجـتـهـداً دومـاً لـيـومِ الـمـفـزعْ



شرح

حكم الرشوة

- البيت:

واحـــذرْ أمـــوراً وابتغ فيها النجاةْ　　　متقياً لـعـنَ الـرِشَـا جُـلَّ الحياةْ

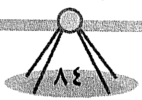
- الشرح:

الرشوة: هي ما يعطى لإبطال حق أو لإحقاق الحق، ويجب على المرتشي ردها، ولا بأس بالرشوة لمن يخاف على دينه.

ودفع المال، للحاكم الجائر، لدفع الظلم عن نفسه، وماله أو لاستخراج حق لا يتوصل إليه إلا به، ليس برشوة في حق الدافع.

لذا يجب على القاضي العادل والحكم الأمين والتقي الورع أن يبتعد عن الرشوة ويحذر منها لأن الابتعاد عنها فيه النجاة في الدنيا والآخرة، لأنه إن فعل ذلك وابتعد عنها بعد المشرقين كان حراً طليقاً قرير العين والفؤاد فلا يأسر نفسه، بسبب الرِشوة كما أن المرتشي ملعون بحكم الشرع، لذا لعن الرسول ﷺ الراشي والمرتشي في الحكم.

أيها القاضي الموقر، إني أضع بين ناظريك لوامع النصائح اللواقح لتستفيد منها متذكراً ومعتبراً حالة كونك غادٍ ورائح، وهي أمور لا ينبغي على القاضي تركها، أو الإعراض عنها لأنها سفينة النجاة، وباب الخيرات، لأنها تجعلك مرفوع الهامة عاليها، مشرئب النفس عزيزها، وهذه هي صفات المؤمن الحر الذي لا تقيده الأهواء،



ولا تسوقه الشهوات. لطالما كان متمسكاً بمبادئه النفيسة، ومسلكياته الرائعة الثابتة والراجحة في ميزان الخلق والآداب ومن هذه اللوامع وأجلِّها، الإبتعاد والهجر ونبذ الرشوة وأصحابها لأن صاحبها يُنظر إليه نظر المقت، لأنه ظالم لنفسه ولغيره في كل وقت.

وعليك أيها القاضي الوقور أن تلتزمَ نفسك بهذا الوصايا والنصائح كل حياتك وعمرك حتى تكونَ مميزاً بين الخلائق. لأننا ما نفتقر إليه الأماثلَ والكرائمَ والنماذجَ الرائعة التي تبقى مثلاً في جبين الأزمان والأيام، .

قال اللقاني:

وكنْ كما كانَ خيارُ الخلقِ حليفُ صدقٍ تابعاً للحقِ

كما أنه ينبغي لك أن ترشد بها غيرك وتذكره، إذ المرء من طبيعتة النسيان، وإن غلبته الدنيا فيهوي ويتناسى.

- البيت:

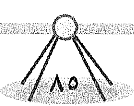
إذ حكمُها اللعنُ لكلِ راشي ومرتشي هذا بلاء قد فَشِي

- الشرح:

الحكم أيها القاضي الوقور:

أنه من المشهور والمعلوم أنَّ حكم الراشي هو اللعن والطرد والبعد عن رحمة الله ويا شقاوة من استحق لعائن الله ومقته، كما أن هذه اللعائن والتهديدات تحلُّ على المرتشي.

فإذا فتح باب الرشوة على مصراعيه وتلقفها صاحبها من جانبيه عندها



تنتقص وتضيع الموازين والمقاييس، وينتشر الفساد العظيم، ويستعلي كل خوار أثيم، فكم من مؤسسة نام أصحابها عن رعايتها فغلبتها الرشوة وعمَّها الظلم، فاستنسر عصفورهم، واستنمر سنُّورهم، وكم شركة جبلت أركانها وجوانبها بالغش والرشوة، فخاب أمرها وفشا ضلالها، وكم من حاكم ارتُشِيَ فارتشى، فسخَّر جاهه وطاقته في سبيل شرها فهوى في مكان سحيق، فأضحى خبراً بعد عين، وآضَ عبرة لمن اعتبر.

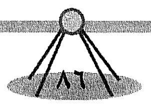
والمشكلة الكبرى والداهية العظمى أن أمر الرشوة هذا قد انتشر وعمّ، وتمكن وأطم، وأصبح من العادات المحكمات في مجتمعنا، ووطننا فلا رقيب ولا عتيد ولا حسيب، وإن كانت الرشوة في زماننا اليوم تختلف أشكالها وألوانها، وهذا بلاء عظيم وفتنتة كبرى وقع في شراكها الكثير من الناس.

وإن وجدتَ من يضعُ الحق في نصابه ويرده إلى أصحابه حُبِكَتْ حولَه الفضائح والإتهامات.

إن كان لكل داءٍ دواء، ولكل بلسم شفاء، فدواء الرشوة أن يستيقظ الضميرُ الحي في النفس السوية الرضية وأن يرعوي صاحب الرشوة عن غيِّه.

كما أن الدواءَ الطبيعي المناسب لسد باب هذا البلاء، ولدرء فتنتِه عن الناس الضعفاء. إقامةُ الحساب والقَصاص، قال تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[1] والأخذ على يد المرتشي باليمين، وإنزال العقوبة على ما عمل واقترف.

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٩



وما ضاعت الحقوق من أهلها، وخفيت معالمها، وما علا أهل الباطل إلا بتهاون أهل الحق والعدل.

وإني ذاكر مثلاً شهدته، في محاكمة شخص ارتشى عرفته، إذ حوكم في جلسة ودية، حولت صفحات الجبين ندية، والحاكم يومئذ يتمتع بسلطة وحكم وقضاء وأهلية وتمت المحاكمة في مكتبه فلم يجد المرتشي بداً من الإعتراف، حتى صغر في أعين الحاضرين، يومذاك، إذ وُضِعَ بين فكي كماشة، خاصة وأنه قابل الشخص الذي دفع الرشوة جبراً ليحصل على طلبه كما ذكر. فما كان منه إلا أن أخرج الرشوة من جيبه وردَّها إلى صاحبها.

والحديث له بقية أغلقته ستراً ودرأً للمفاسد واللبيب تكفيه الإشارة.

لذا قيل: آخر الدواء الكي.

- البيت:

ثم الرشا في الحكم سحتٌ يشتعلْ　　　أولى به النارُ إليه لا تَمِلْ

- الشرح:

اعلم أيها القاضي النبيه:

أن الرشوة في الإسلام حرام وسحت، وقد عرف أهل اللغة السحت بقولهم:

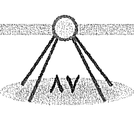
'هي كسب ما لا يحل أو الرشوة في الحكم'

وقالوا: السحت أصله الهلاك والشدة، قال الله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿ فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ﴾[1].

وسُمِّيَ المال الحرام سُحتاً لأنه يسحت الطاعات، أي يذهبها ويستأصلها[2].

(١) سورة طه:الآية ٦١

(٢) القرطبي ج ٦/ ١٨٢



عن النبي ﷺ أنه قال: 'وكل لحم نبت بالسحت فالنار أولى به' قالوا: يا رسول الله وما السحت؟ قال: '**الرشوة في الحكم**'.

وقال عليه الصلاة والسلام: '**لعن الله الراشي والمرتشي**'[1].

ورُوي عن وهب بن منبه أنه قيل له: الرشوة حرام في كل شيء؟ فقال: لا، إنما يكره من الرشوة أن ترشي لتُعطَى ما ليس لك، أو تدفعَ حقاً قد لزمك، فأما أن ترشيَ لتدفع عن دِيْنِك ودمك ومالك فليس بحرام.

قال أبو الليث السمرقندي الفقيه: وبهذا نأخذ، ولا بأس أن يدفع الرجل عن نفسه وماله بالرشوة. وهذا كما روي عن عبد الله بن مسعود أنه كان بالحبشة فرشَا بدينارين وقال: 'إنما الإثم على القابض دون الدافع'[2].

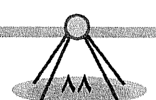
وعليه فإن الحياة مليئة بالأكدار ومحفوفة بالأخطار، وعلى أحدنا أن يتبع طرق النجاة وسبيل الرشاد.

كما أن فتنَها كثيرة وغزيرة وتحيط بالمرء من جميع جوانبه، كإحاطة السوار بالمعصم، وأسباب النجاة تمتد وتتجاذب حياتنا وأعمارنا. وعلينا أن نسلكها ونسير في دروبها.

وعن زيد بن أرقم ﷺ قال: 'كان لأبي بكر رضي الله عنه مملوك يعمل له، فأتاه ليلةً بطعامٍ فتناول منه لقمةً، فقال له المملوك: كنتَ تسألني كل ليلة ولم تسألني هذه الليلة من أين جلبت الطعام؟ فقال أبو بكر: حملني على ذلك الجوع، فمن أين جئت بهذا؟ قال: مررت بقوم في الجاهلية فرقيت لهم، فلما أن كان اليوم مررت بهم فإذا عرس لهم فأعطوني، قال: كدتَ أن تهلكني، فأدخل يده في حلقه فجعل يتقيأ حتى رمى بها، فقيل له: يرحمك الله كل هذا من أجل لقمة، قال: لو لم تخرج إلا مع نفسي

(١) رواه أبو داود في سننه.

(٢) القرطبي، الجامع ٦/ ١٨٣-١٨٤.



لأخرجتها'؛ سمعت رسول الله ﷺ يقول: 'كلُّ جسدٍ نبتَ من سحت فالنار أولى به' فخشيت أن ينبت شيء من جسدي بهذه اللقمة'[1].

فمن أسباب النجاة مراقبة الله تعالى، وهي:

- أن نعبد الله كأننا نراه.
- محاسبة النفس والوقوف عند الحدود الشرعية.
- تقوى الله في السر والعلن.
- الصدق في العمل والتعامل والتعاطي مع الآخرين.
- الإبتعاد عن المعاصي والموبقات كالخيانة والرشوة.

وبما أن القاضي هو الذي يصدر الحكم والأحكام، ويرفعها للخصوم بين الأنام فهو يتعرض للمغريات الكثيرة والمتعددة، وأعلاها وأشملها الرشوة التي وردت فيها أحاديث رهيبة، ومنهيات مخيفة.

فعلى القاضي -طبعاً وغير القاضي- أن يتقيها وأن يبتعد عنها جهده.

والرشوة بلاء خطير ووباء عظيم قد تفشى في مجتمعاتنا وحياتنا فنسأل الله تعالى السلامة لنا ولكم وللمسلمين من هذه الآفة القاتلة.

قال الشاعر:

إن الدراهم في المواطن كلها ... تكسو الرجال مهابة وجمالا

فهي اللسان لمن أراد فصاحة ... وهي السلاح لمن أراد قتالا

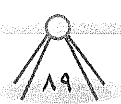
وقال آخر:

ما الناس إلا مع الدنيا وصاحبها ... فكلما انقلبت يوماً به انقلبوا

يعظمون أخا الدنيا فإن وثبت ... يوما عليه بما لا يشتهي وثبوا

---

(١) الرياض النضرة..



وقال الزمخشري:

وإذا رأيت صعوبة في مطلب ... فاحمل صعوبته على الدنيار

وابعثه فيما تشتهيه فإنه ... حجر يلين قوة الأحجار

- البيت:

وافتكرْ في منتهى الذل الذي ... تبقى أسيرَه وذا لا ينتهي

- الشرح:

أيها القاضي النبيه الذكي:

قد يسول الشيطان طرق الرشوة لصاحبها وقاصدها، ويعطيه المبررات والأعذار لقبولها، وقد يجرها إليه ويتجرعها صاحبها، في غفله، من قلبه وعقله وضميره، ولكن من عاداتها -أي الرشوة- ومن مستلزماتها أن تسوق الذل لصاحبها وتهون عليه نفسه، وتجعله أسيراً في فكره وعقله حتى في أحكامه الشرعية.

كما أن هذه السُّبَّةُ -إن ثبتت عليه- تبقى في صفحات تاريخه يؤنبه عليها ضميره وعقله ما حييَ، وهذا، نهاية الذل والهوان.

وقد ورد في الحديث: '**لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه**'[1].

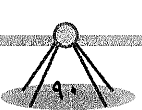
فصيانة النفس عن الذل والهوان أمر واجب ومحتم، بل إن حفظ كرامتها أجدى وأعز وأسمى.

والنفس البشرية تميل إلى المال كل الميل إلا ما رحم ربي، قال الشاعر:

لا تخضعن لمخلوق على طمع ... فإن ذلك نقص منك في الدين

واسترزق الله مما في خزائنه ... فأمر ربك بين الكاف والنون

(١) رواه الترمذي.



وإياك أن تريق عزة نفسك وبريق وجهك أمام هذه الآفة قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[1].

وفي الحديث: "اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقِلة والذلة، وأعوذ بك أن أَظلم أو أُظلم"[2].

- البيت:

إذ تجعلُ الحرَ الأمين عبدا ... يأتي ويوماً للحساب فرداً

- الشرح:

أيها القاضي الذكي النبيه:

إن الله تعالى خصَّك بهذه الخصوصية، وأعطاك للعدل بين الرعية ومكَّنك من هذا المقام لتكون قدوة وأسوة، وجعلك حراً متبعاً لا يأسرك لوم لائم، ولا يخيفك امرؤ مهما علا وشأنه.

فما بالك بالرشوة التي تجعل الحرَّ عبداً، والعزيز ذليلاً.

وإني أذكرك وأذكر نفسي بقول الله عز وجل: ﴿ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا ﴾[3] وذلك يوم الحساب والجزاء ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ﴾[4] ﴿يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ ﴾[5]

يقول الشاعر:

يا من بدنياه اشتغل ... وغرّهُ طولُ الأمل

الموت يأتي بغتتة ... والقبر صندوق العمل.

نسأل الله العافية والسلامة من فتن الدنيا.

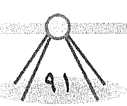
(١) سورة المنافقون: الآية ٨

(٢) رواه النسائي.

(٣) سورة مريم: الآية ٩٥

(٤) سورة الشعراء: الآية ٨٨و٨٩

(٥) سورة آل عمران: الآية ٣٠



- البيت:

كم غيرتْ حقاً بباطل بدا	وأورثت حقداً وضراً سرمدا

- الشرح:

إن ما ورد في نوابغ الحكم: إن البراطيل تنصر الأباطيل.

وذكر أن أول من أدخل البرطيل إلى المجتمعات هو فرعون الطاغية الذي أتى من بلاد فارس إلى مصر، وأدخل الرشوة والبرطيل حتى وصل إلى ما وصل إليه وادَّعى مادعاه والعياذ بالله تعالى.

قال ابن الوردي:

كتب الموت على الخلق فكم	فلَّ من جمعٍ وأفنى من دول
ابن عاد أين فرعون ومن	رفع الأهرام من يسمع يخل
ابن من سادوا وشادوا وبنوا	هلك الكل وما تغني القلل

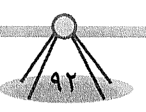
فأنت أيها القاضي العزيز آتاك الله تعالى مرتبةً عالية بديعة رائعة فإن عرض عليك ذلك - فتمثل بقول سيدنا سليمان عليه السلام في كتاب الله العزيز.

﴿ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾[1]

أي أتصانعونني بمال لأترككم على شرككم؟

---

(١) سورة النمل: الآية ٣٦



القاضي الورع:

ويعجبني صنيع قاضٍ من أشد القضاة ورعاً حيث عايشناه عَلَماً في مجالس العلم وورعاً نزيهاً عند البيع والشراء وحريصاً على القاضي وسمعته بين الناس، فقد روى لي من أثق به أنه جاءه يوماً ليزوره وبيده هدية أو منحة على عادة المتزاورين، فطرق بابه ففتح -القاضي الورع- له الباب فتحاً يسيراً، وبالكاد أن يراه من وراء الباب، فسأله عن حاجته ورفض إدخاله وهديته خشية أن يتكلم في دعوى مقامة أو أن يقف بين يديه يوماً في مجلس القضاء فيجد حرجاً، فرده وهديته ولم يدخله.

وكم غيرت الرشوة والهدية الحق إلى باطل والباطل إلى حق، وولدت الضر والحقد والسوء والفساد في مجتمعاتنا.

نسأل الله السلامة والعافية.

- البيت:

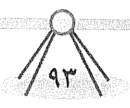
ثم أرفضن من مدَّعٍ هديهْ فإنها كالرشوة المخفيهْ

- الشرح:

اعلم أيها القاضي الذكي الحصيف:

أن ترفعك عن قبول الهدايا ورفضك قبول العطاء من قريب أو بعيد، مَنْقَبة فضلى وأخلاق سامية، وورع لا يبارى ولا يضاهى، وبالطبع عُرضت وستعرض عليك المغريات والتقديمات باسم هدية أو منحة، أو عطية، فقد تختلف أسماؤها ومسمياتها، ومرجعها واحد هو الرشوة المخفية، بل أنت أعلى كعباً، وأرقى نفساً، وأعز قبولاً وامتهاناً.

وقد ذكر الفقهاء أن هدية القاضي من باب الرشوة إن لم تجرِ بها العادة، فإن جرت العادة فتأخذ حكمها.



والأولى والأفضل التورع عن قبولها صيانة لمقامك العالي بين يدي الله تعالى.

ولست أتكلم عن الهدية البريئة التي تذهب سخائم القلوب بين الأصدقاء وتطفئ نار العداوة والبغضاء، ولكني أتكلم عن هدية للقاضي لإقرار باطل والرضى به.

واذكر قول بلقيس ملكة سبأ عندما أرسلت هدية لسيدنا سليمان عليه السلام قالت: 'إن قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه'.

قال تعالى حكاية عنها: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾[1].

وفي البخاري، عن أبي حُميد السَّاعدي: قال: 'استعمل النبي ﷺ رجلاً من الأُزْد يقال له ابن اللُّتبيَّة على الصدقة فلما قدم قال: هذا لكم وهذا لي، قال عليه الصلاة والسلام: **'هلا جلس في بيت أبيه أو أمه فينظر أَيُهدىٰ له أم لا'**[2].

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: 'كانت الهدية في عهد رسول الله ﷺ هديةٌ واليومَ رِشوة'[3]. واستعمل عمر أبا هريرة رضي الله عنه فقَدِمَ فقال له: من أين لك هذا؟ قال: تلاحقت الهدايا فقال له عمر رضي الله عنه: 'هلا قعدت في بيتك فتنظر أيهدى لك أم لا، فأخذ ذلك منه وجعله في بيت المال'.

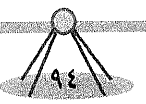
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: 'اشتريت إبلاً وارتجعتها إلى الحمى فلما سمنت قدمت بها، فدخل عمر السوق فوجد إبلاً سماناً فقال: لمن هذه الإبل؟ قيل: لعبد الله بن عمر، فجعل عمر يقول: 'بخ بخ ابن أمير المؤمنين' قال عبد الله: فجئته أسعى، فقلت: ما لك يا أمير المؤمنين، قال: ما هذه الإبل، قلت إبل اشتريتها وبعثت بها الحمى ابتغي ما يبتغي المسلمون قال: فقال: ارعوا إبل إبن أمير المؤمنين، اسقوا ابل أمير المؤمنين. يا عبد الله بن عمر أغد على رأس مالك واجعل باقية في بيت مال المسلمين'[4].

(١) سورة النمل:الآية ٣٥

(٢) رواه البخاري.

(٣) ذكره البخاري

(٤) الرياض النضرة



- ## البيت:

ولا تـــزولُ الــقــدم كـمـا ورد   عـن أربـــعٍ سـؤالـه ذا لا مـرد

- ## الشرح:

إعلم أيها القاضي النبيه الحصيف:

أن المولى مطلع عليك وناظر أعمالك وأفعالك وأحكامك، والتي يحليها الإخلاص، ويزكيها الصدق، وتحفها البركة ويعمها الخير إن شاء الله تعالى.

وكما ذكرت لك سابقاً عن مكانك ومكانتك عند الله وعند الناس، وتذكر حديث رسولنا محمد ﷺ: **'لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله مِن أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه'**[١].

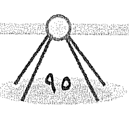
وروي أن النبي ﷺ قرأ ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢﴾[٢] قال: يقول ابن آدم: 'مالي مالي قال: وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت ولبست فأبليت وتصدقت فامضيت'[٣].

خطب سيدنا علي رضي الله عنه يوماً فقال في خطبته: 'عباد الله الموتَ الموتَ ليس من فوت، إن أقمتم أخذكم وإن فررتم منه أدرككم، الموت معقود بنواصيكم فالنجا النجا والوحا الوحا فإن وراءكم طالباً حثيثاً وهو القبر ألا وأن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، ألا وإنه يتكلم في كل يوم ثلاث كلمات فيقول: أنا بيت الظلمة أنا بيت الوحشة أنا بيت الديدان، ألا وإن وراء ذلك اليوم أشد منه، يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير وتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، ألا وإن وراء

(١) رواه الترمذي

(٢) سورة التكاثر: الآية ١ - ٢

(٣) رواه مسلم



ذلك اليوم يوماً أشد منه، فيه نار تتسعر، حرها شديد وقعرها بعيد وحليها حديد، وماؤها صديد، ليس لله فيها رحمة'.

قال فبكى المسلمون بكاءً شديداً ثم قال: 'ألا وإن وراء ذلك اليوم جنة عرضها السماوات والأرض أُعدت للمتقين، أدخلَنا الله وإياكم دار النعيم، وأجارنا وإياكم من العذاب الأليم'.

وصلى معروف الكرخي خلف إمام فلما فرغ من صلاته قال الإمام لمعروف من أين تأكل، قال: اصبر حتى أعيد صلاتي التي صليتها خلفك، قال: ولم؟ قال: لأن من شك في رزقه شك في خالقه.

هي القناعة فالزمها تعش ملكاً ... ولو لم يكن منك إلا راحة البدن

وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير القطن والكفن

- البيت:

وواجبٌ تولية القاضي الورعْ ... حتى يكُ عن الرشاء ممتنعُ

- الشرح:

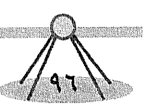
فضل تَوْلِيَة القضاء:

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴿١٠٥﴾ ﴾(١)

وقال تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّ ﴾(٢)

(١) سورة النساء: الآية ١٠٥

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٨



فقد أشارت الآيتان أن الله تعالى ولّى نبيه محمداً ﷺ الحكم بين الناس فضلاً عن شرف الرسالة التي أرسله الله بها، ولولا فضل القضاء وعظمته ماولاه الله إياه ولا كلفه به.

لذا فقد كان الأمر فيما مضى يختار الرجل العالم لدينه وورعه وأمانته وفقهه قاضياً ليحكم بما أنزل الله حكماً عادلاً.

أما في مجتمعنا وعصرنا فإنه يتم تعيين القضاة حسب الكفاءات العلمية والشهادات التي نالوها من الكليات الشرعية والقانونية والحقوقية المعدلة وغيرها وربما يخضعون لإختبارات شخصية ومباريات خطية، وهذه مشكلة ينبغي لأولي الأمر التنبه لها لأنه تحدث في مجتمعنا فظائع يندي لها الجبين ولا يصبر عليها الحليم وتجعل الولدان شيبا.

قال رسول الله ﷺ: **'من ولىَّ أحداً من المسلمين وهو يعلم أن فيهم من هو أحق بذلك واعلم بكتاب الله وسنة نبيه فقد خان الله ورسوله'**[1].

ووُلِّيَ يحي بن أكثم قاضياً على أهل جبلة فبلغه أن الرشيد اتجه إلى البصرة فقال جبلة إذا اجتاز الرشيد فاذكروني عنده بخير فوعدوه بذلك فلما جاء الرشيد تقاعدوا عنه، فلعثم القاضي لحيته وكرَّ عِمَّتَهُ وخرج، فرأى الرشيد في الحراقة ومعه أبو يوسف القاضي فقال لأمير المؤمنين نِعم القاضي قاضي جبلة، عدلَ فينَا وفعلَ كذا وكذا وجعل يثني على نفسه، فلما رآه أبو يوسف عرفه فضحك، فقال له الرشيد: مما تضحك؟ فقال يا أمير المؤمنين يثني على القاضي وهو القاضي، فضحك الرشيد حتى فحص برجله الأرض ثم أمر بعزله.

---

(١) رواه-----

البيت:

وابـكِ على أهـلِ التقى والـورعِ　　　مجتهداً دومـاً لـيـومِ الـمـفْـزَعِ

• الشرح:

المرء من حيث يثبت لا من حيث ينبت.

والمرء بفضيلته لا بفصيلته، وبكماله لا بجماله، وبآدابه لا بثيابه.

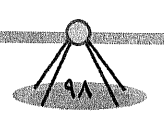
قال الحكماء إذا أراد الله بعبد خيراً ألهمه الطاعة، وألزمه القناعة، وفقهه في الدين، وعضده باليقين، فاكتفى بالكفاف، واكتسى بالعفاف، وإذا أراد به شراً حبب إليه المال، وبسط منه الآمال، وشغله بدنياه، ووكل إليه هواه، فركب الفساد وظلم العباد.

فليتعظ القاضي بحياة القضاة السابقين من الصحابة ﷺ أمثال علي بن أبي طالب ومعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري.

والخيار أمثال شريح القاضي وعبد الله بن شبرمة.

قال الفضيل بن العياض: إذا ولي الرجل القضاء، فليجعل للقضاء يوماً وللبكاء يوماً.





القسم الخامس
القضاء في حالة الغضب والغفلة

بالحق غـــرّدْ قــاضـيَ المحاكمِ لا تـخـشَ فـي الـلـه لـلـوم لائـمِ

إن امـــرؤ حــطّ عـلـيـك التُهما فاحْلُم فـإن الحلمَ زادُ الحكما

فـــإن غـضـبـتَ بـــدِّلِ الـمـكـانـا ثـم تـوضـأْ واطـــردِ الشيطانا

كم غاضبٍ غـاضَ القضا بحكمِهِ حـتـى غَـــدا بـه هــلاكُ أمـــرِهِ

واسمعْ كما قـال النبي المرتضى غضبانَ لا يُـرى قضاءُ من قَضى

فـإن بَـدا قـضـاءُ حكـم بالخَطا بَيِّنْهُ وارجـعْ ثاوياً عن الخَطا

واحـــذرْ الـبـطـش والإنـتـقـامـا والـمـيـلَ والـحـيـفَ فـذا غـرامـا

فـــإن حـكـمـت بـعـد الإجـتـهـاد أجـــران أو أجـــر بـــلا سُـهـاد

واعـتـبـرْ مـمـن قـضـى ونـدَمـا مـمـا خُـفـي عـنـا كـذا وعُـلِـمـا

فالنفسُ دومـــاً عـرضـةٌ للتُهَمَهْ والعصمةُ خَـصّـتْ نبيَ المرحمهْ

شرح

القضاء في حالة الغضب و الغفلة

- البيت:

بالحق غـرِّدْ قاضيَ المحاكمِ لا تخشَ في الله للومِ لائمِ

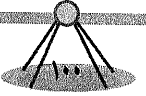
- الشرح:

المدح الصادق حَسَن إن وقع موقعه، وجميل إن صِيغت فيه العبارة لتوافق صفة الممدوح، إذ مدحُ المؤمن الصادق، والقاضي صاحب السِّمات الفاضلة والمعاني السَّامية، تزيده تواضعاً وتقرباً وحباً.

أيها القاضي الملتزم بالحق قضاءً واتباعاً وسلوكاً ومنهجاً، أُنَاشِد فيك رفعةَ المنصب، ومسؤولية الحكم، وأناديك مناداة الملهوف الذي يطلب النجاة، إذ أنت القائم بالحق، المثبت للفضل، أُناشدك أن تصدح دوماً بلوامع الحق والخير، وأسمع حكمك العدل، وصوتك المبين مغرداً بأنواع الأحكام الرائعة، وبالنزاهة الدقيقة، واضرب في ذلك الأمثال، صدقاً وثباتاً وورعاً.

إن ما نحتاجه في المحاكم التي هي أماكن دفع الظلم والظلام، ومواطن إحقاق الحق، وإزهاق الباطل، والتي يلجأ إليها المظلوم الذي غرس في قلبه كل الأمل أن يرفع عنه الظلم، ويعود إليه حقه صافياً صفاء الماء الزلال، وإن يحكم له بالعدل الصادق الذي لا يشوبه شك ولا ريب ولا زيف ولا تغيير أو ضلال.

فغرد بالحق أيها القاضي الصادق، ثم غرِّد واحكم بحق وعدل وصدق مراقباً في ذلك المولى تعالى.



والحذر كل الحذر أن تهتز فيك تلك المعاني، أو تضيع بين يديك هذه المقاييس، فتخشى ملامة لائم في حكمك العادل.

وقد قيل:

إن نصف الناسِ أعداءٌ لمن ... ولي الأحكامَ هذا إن عدل

سواء كان من يلومك -أي الخصم المدعي- الذي حكمت عليه، وجيهاً، أو زعيماً، أو قوياً، أو صاحب نفوذ ومكانة وبطش.

لأن حكمك هذا لله تعالى ترجو به إحقاق الحق وإظهاره، وإزهاق الباطل، وإنكاره.

ولهذا قلت فيك مادحاً:

أنت الذي بالحكم ترقى للعلا ... ولطالما كنت الملاذ الموئلا

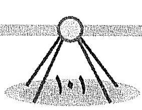
إني أمدحك يا قاضي الخير، واثني عليك ثناءً مباركاً طيباً، إذ المدحُ هو وصف الممدوح بأخلاق يمدح عليها صاحبها ليكون نقياً حميداً رضياً، فربنا تعالى قد مدح نبيه ﷺ بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤ ﴾[1]، ومدح المؤمنين: ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾[2].

أما قوله ﷺ: '**إذا رأيتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب**'[3] قيل هذا المدح الباطل والكذب، وأما مدح الرجل بما فيه فلا بأس، وقد ثبت أن أبا طالب والعباس، وحسان، وغيرهم قد مدحوا رسول الله ﷺ ولم يبلغنا أنه حثا التراب في وجوه أحد، وكان أبو بكر إذا مُدِحَ قال: 'اللهم أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم. اللهم اجعلني خيراً مما يحسبون واغفر لي ما لا يعلمون، ولاتؤاخذني بما يقولون'.

(١) سورة القلم: الآية ٤

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٢

(٣) رواه مسلم



فإن مدحك والثناء عليك أيها القاضي حق وفي مكانه المناسب، فأنت في حكمك ترتفع في عين الله تعالى إلى العلا رفعةً وعلواً، ومكانةً، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: '**إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن -وكلتا يديه يمين-الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وماولوا**'[١].

وما من مظلوم حط عليه الظلم وجثا، ونأى عليه وأناخ إلا ويقصد باب القاضي العادل إذ أنت ملاذه ونصيره، وأنت موئله والملجأ الذي ينتهي إليه، فلا تقطع فيه الرجاء، ولا تسد له باب الأمل، واعلم أن قد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: '**عدل ساعة في حكومة خير من عبادة سنة!**'[٢]

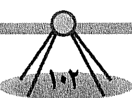
وقد قال فقهاء الأحناف أن نصب القاضي فرض لأنه ينصب لإقامة أمر مفروض.

وذكر الفقهاء أن طلب القضاء على ثلاثة أقسام:

- **القسم الأول:** من لا يجوز له الدخول فيه ويحرم عليه قبوله، وهو من لا يحسنه لجهله، ولم تجتمع فيه شروطه، أو لطلب دنيا، أو للذة أو ميل وشهوة.
- **القسم الثاني:** من يجب عليه قبوله إذا تعين عليه حيث يصبح واجباً عينياً يثاب عليه ويأثم بتركه، وذلك إذا توافرت فيه شروطه ولا يوجد سواه أو تضيع الحقوق إذا لم يقبل.
- **القسم الثالث:** من يجوز له طلبه ولا يجب عليه، وهو من كان من أهل العدالة والإجتهاد يوجد غيره مثله،

(١) رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) الآداب النافعة



واعلم أيها القاضي النبيه الحصيف، أن الله عزّ وجل قال في كتابه الكريم:

- ﴿ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾[1].
- ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾[2]
- ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾[3]

لذا ينبغي على القاضي، بل واجب ديني أن يجتهد ويبذل جهده كي يضع الحق في موضعه في حكمه وعدله، وصاحب الحق قوي ومنصور من قبل الله تبارك وتعالى، وهو توفيق من الله عز وجل وإن عزَّ وندر، كما أنه يُعَدُّ من علامات التقوى وزينتها وهو حلية الصالحين.

وإن الحق هو الأمر الثابت الذي لا يسوغ إنكاره ولا رفضه، كما أنه هو الحكم المطابق للواقع ووقوع الشيء في موقعه وهو أولى به.

إن تاريخنا الأثيل تشرَّف بالحق وأهله الذين صدعوا به، والحق دوماً وأبداً فوق القوة والبطش والحق أحق أن يتَّبع، ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾[4]

واعلم أرشدك الله أنه تعالى أمر بالعدل، ثم علم الله وهو العالم أنه ليس كل النفوس تصلح للعدل، لذا طلب منهم الإحسان وهو فوق العدل فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[5].

---

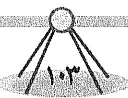
(١) سورة يونس: الآية ٩٤

(٢) سورة يونس: الآية ١٠٨

(٣) سورة الإسراء: الآية ٨١

(٤) سورة المؤمنون: الآية ١١٦

(٥) سورة النحل: الآية ٩٠



وإياك ثم إياك أن تخشى في حكمك لومة لائم أو صاحب قوة أو سلطان، لأنه أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر، صاحب قوة وعزم ونفوذ.

والشواهد في مجتمعنا كثيرة وغزيرة من تدخلات وتداخلات من أصحاب النفوذ والسلطة.

ولكن رزقنا الله تعالى قضاة صالحين - ولله الحمد- يحكمون بالحق والرشاد، والسداد والعمل المبارك الطيب.

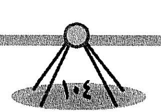
- البيت:

إن امـــرؤٌ حـــطَّ عليك التُهما فاحْلُمْ فـإن الحُلْمَ زادُ الحُكَمَا

- الشرح:

أيها القاضي الحكيم، قد تسمع ما يعكر منك القلب، ويكدر فيك الروح، وهذا بديهي عند الحكم بين المتخاصمين المتنازعين، وهذا لا مرية فيه حيث تشتعل نار الخصومة بينهما، ويشتد أوارها ، ويأتي الشيطان ليحتنكن بين الناس، ولينفث سمومه وسهامه الصائبة، فيسول لأحدهما ما يسول؛ فتمتلك نفسه غيظاً وحنقاً، فيتفوه بما لا يليق في مجلسك، ومقامك.

وعادة البشر الغضب والثورة مهما أوتوا من حلم وتؤدة. فإن غلب عليك الأمر، واشتد عليك الحال، وظهرت منك علامات الغضب، أو قرب منك ذلك فما عليك إلا أن تتدثر بالحلم والأعراض وأن تطرد أي وساوس تشعر بها. وأن تستعيذ بالله تعالى طالباً السداد والرشاد، حتى لا تجعل للشيطان عليك سبيلاً.



- **وهناك عوامل عدة لإبعاد هذه الوساوس الشيطانية منها:**

١. أن تستعيذ بالله وتقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم.

٢. أن تعلم أن الله مطَّلع عليك ولا تخفى عنه خافية في الأرض ولا في السماء.

٣. أن تتذكر قول رسولنا الأكرم: 'كاد الحليم أن يكون نبياً'[١] فتتحلم وتكون حليماً.

٤. أن تجزم أنك الحكم والقاضي العادل ولست الخصم الألد.

٥. أن تعرض عن الجاهل فإن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: 'واعرض عن الجاهلين'.

٦. أن تقول: رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري.

٧. عليك أن تتصف بالحلم وترشد الضال والجاهل، وتوقظ في نفسه مهابة القضاء والموقف، ولا تتهاون في ذلك مطلقاً.

٨. اعلم أن زاد الحكيم العليم حلم يجمله، وصبر وحكمة ترفعه، واعلم أن الأحنف بن قيس ما ساد قومه إلا بالحلم.

- **البيت:**

فإن غضبتَ بدِّلِ المكانَا ثم توضأْ واطردِ الشيطانا

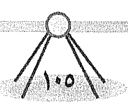
- **الشرح:**

الغضب: لغةً نقيض الرضا. وهو تغيير يحصل عند غليان دم القلب ليحصل عنه التشفي للصدر[٢].

فإن غضبت أيها القاضي الحكيم، أو تحرك منك شيئ من هذا، فانتبه لنفسك واقصد أموراً ربما تكون هي الدواء والبلسم لدرء ما قد يصيبك منها فعليك أولاً

(١) ذكره الخطيب.

(٢) تعريفات الجرجاني



أن ترجع الحكم، وترد الخصوم، وتفض المجلس وأن تبدل المكان، وتقوم من مجلسك حتى تطرد بذلك ما أصابك أو قد يصيبك.

ثم إن أردت دفع ذلك من غير رجعة، أو ابتغيت التبصر والحكمة، فاذهب فتوضأ عسى أن تبرد الأعضاء والفرائص فتجد الدواء والهدوء.

فقد ورد أن رسولنا الأكرم رأى رجلاً غاضباً فقال: '**إني أعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما به**'.

ويروى عنه أنه قال: '**إن الغضب من الشيطان، والشيطان خلق من النار، والنار لا يطفئها إلا الماء**. وقال للغاضب: **اذهب فتوضأ**'[1].

وهذا المقصود منه أن يطرد الشيطان من مجلسه لأن مجلس القضاء مجلس حق وعلم وفقه وعدل. والملائكة لا شك تحضره وتسمع ما يقال فيه. فإن حصل غضب أو تعكير حضر الشيطان وأعوانه و الملائكة لا تجلس في مكان فيه شيطان وأعوانه.

فإن فعلت ما تقدم أيها القاضي الحكيم أمره، فزت بالحق المبين والسعادة من رب العالمين تشعر بحلاوتها في الدنيا والآخرة.

- البيت:

كم غاضبٍ غـاضَ القضا بحكمهِ   حـتـى غَـــدا بــهِ هـــلاكُ أمـــرهِ

- الشرح:

إن القاضي إذا استشاط غضباً وامتلأ فؤاده تكديراً فإنه يفقد القاعدة والميزان في حكمه. وتضيع المقاييس من أمامه، فيحكم بالجور مكان العدل وبالباطل مكان الحق، وبالحيف والشر مكان الخير.

---

(١) رواه أبو داوود.

وكم من قاضٍ اشتد به الغضب حتى خرج عن طوره فضاع حكمه وقضاؤه حتى غدا به هذا الحكم الجائر إلى هلاك أمره وذهاب لبِّه.

عند ذلك فما عليك أيها القاضي الحكيم الملتزم بتلك الآداب النبوية الرفيعة إلا أن تتحلى بأوصاف كريمة، وتعرض عن الجاهلين، والله يقول: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[1].

ويوم أن أتى رجلان عيينة بن حصن والحر بن قيس إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال الحر: مه يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا بالعدل، ولا تنفق فينا بالجزل، عند ذلك همَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يوقع به، فقال عيينة يا أمير المؤمنين إن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾[2] وإن هذا من الجاهلين، فكفَّ عنه عمر رضي الله عنه وكان وقافاً عند كتاب الله تعالى.

فأنت أيها القاضي الحكيم لك أسوة برسولنا الأكرم وبخليفته عمر بن الخطاب وأن تتحلى بذلك، وأن تتزين بصفة الحلم التي مدحها رسولنا الأكرم لأن الحلم هو زاد الحكماء، ومؤونة العلماء، وتاج الأصفياء وبستان العارفين، ورياض الرياحين.

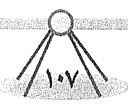
للقاضي:

وقد ذكر الفقهاء أموراً يُكْرَه للقاضي القضاء وهو يشعر بها:

- يُكره أن يقضي حال جوع أو عطش وفرح وحزن شديدين وألم ومدافعة الأخبثين ونعاس وحضور طعام يتوق إليه وغضب.

(١) سورة الأعراف: الآية ١٩٩

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٩٩



وهل يكره له أن يقضي حال غضبه لله تعالى، خلاف، أطلق الرافعي والنووي رضي الله عنهما جواز ذلك والمعتمد عليه عدمه.

فائدة: قال الإمام فخر الدين الرازي ﷺ: اعلم أن المداخل التي يأتي الشيطان من قبلها ثلاثة: الشهوة والغضب والهوى. فبالشهوة يصير الإنسان ظالماً لغيره وبالهوى يتعدى ظلمة إلى حضرة جلال الله تعالى، فلهذا قال النبي ﷺ: 'الظلم ثلاثة: ظلم لا يغفر، وظلم لا يترك، وظلم عسى أن يتركه:

- فالظلم الذي لا يغفر هو الشرك.
- والظلم الذي لا يترك هو ظلم العباد
- والظلم الذي عسى الله أن يتركة هو الشهوة'.

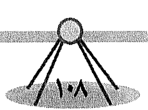
• البيت:

واسمعْ كما قـال النبيُ المرتضىٰ ... غضبانَ لا يَـرىٰ قضاءَ من قَضىٰ

• الشرح:

وفي الحديث عن عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **'لا يحكم أحد بين اثنين وهو غضبان'**[1] وينبغي للقاضي صاحب القلب المدرك، والعقل المدبر أن يعي هذه النصائح ويتلمس وضعها حتى يكون قضاؤه سديداً رشيداً، أما إذا قضى في حالة الغضب وخرج عن طوره، فلا يكون الحكم الصادق طوع حكمه وإرادته وعليك أن تسمع توجيهات رسولنا الكرم ﷺ عندما نهى أن يقضي القاضي وهو متلبس بهذه الصفة وسماع إرشاداته، ونقول سمعنا وأطعنا، لذا قال ﷺ: **'لا يقضي القاضي وهو غضبان'.**

(١) رواه مسلم



وقد ذكر الفقهاء حكم القضاء في حالة الغضب حيث لا يرى قضاؤه ولا ينفذ ولهذا قلت 'غضبانَ لا يرى قضاء من قضى'.

- البيت:

فـإن بـدا قـضـاءُ حـكـمٍ بالخَطا بَيِّنْهُ وارجـعْ ثـاويـاً عن الخَطا

- الشرح:

قد يظهر للقاضي بعد إصدار حكمه خطأ في الإستدلال، أو غلطه في التقدير، فيصعب عليه أن يعيد النظر فيه حتى لا يضع نفسه في الحرج ولا تستسيغ نفسه -أية مراجعة- من قريب أو بعيد؛ وقد يغتر ويقول: 'قضاء القاضي لا يُنقض' فإن تحقق من الخطأ، وستيقن أنه قد جنح في حكمه؛ عليه أن يعود إلى ضميره ونفسه، ويعلم أن الله تعالى قال: ﴿ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ﴾[1].

فالرجوع عن الخطأ خير من التمادي في الباطل، وهو معذور إن قضى بإجتهاد وبان خطأ ما قضى به، إذ عادة المرء أن يعتريه الخطأ والنسيان، وبهذه الحالة ترفع عنه الملامة والمسؤولية وفي الحديث: 'رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه' عندئذٍ يرفع عنك إثم الخطأ وإثم النسيان لأنك معذور.

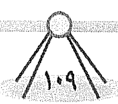
ورسولنا الأكرم يقول: '**كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون**'[2].

فيا أيها القاضي إن تبين لك الخطأ عليك أن تعود عنه وتلجأ إلى الله تعالى

---

(١) سورة يونس: الآية ٣٥

(٢) رواه الترمذي.



بالإستغفار، وأن يسدد الله تعالى حكمك ويبصرك بدقائقه حتى لا تعود لمثل ما تقدم.

- ## البيت:

واحـــذرِ الـبـطـشَ والإنـتـقَـامـا   والـمـيـلَ والـحـيـفَ فـذاً غَـرامـا

- ## الشرح:

إن الشفافية التي يتصف بها القاضي في حكمه وجزمه، هي توفيق من الله تبارك وتعالى. وبما أنه ينفذ حكم الله تعالى بما آتاه الله عز وجل من نور يقذفه في قلبه فينبغي أن يكون بعيداً كل البعد عن البطش والإنتقام لأنه ذلك من حظوظ النفس الغويَّة.

والبطش كما ذكر أهل اللغة هو: الأخذ القوي الشديد وفي قوله: ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾[1] قال المفسر الكلبي: معناه تقتلون عند الغضب، وقال الزجَّاج: وإنما أنكر الله ذلك لأنه كان ظلماً.

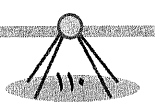
وكذلك ينبغي على القاضي الموفق أن يبتعد عن الإنتقام، وهو المبالغة في العقوبة لمن يشاء، وقالوا: هذا الإنتقام ينجلي إذا بلغ صاحبه الكراهة لمن يريد أن ينتقم منه إلى حد السخط.

وكذلك ينبغي على القاضي الموفق أن يبتعد عن الميل والحيف وهو الإبتعاد عن الحق مهما كانت الظروف والأسواء.

وهذه الصفات التي نبهت القاضي الموفق إليها والتي يدعوه الواجب لمجانبتها مطلقاً، تضمن له النجاح والتسديد والتوفيق، ويكون بعيداً عن المغرم

---

(١) سورة الشعراء: الآية ١٣٠



الذي يلزمه يوم القيامة ويكون مسؤولاً عن مَثْقَلِهِ، وفي الحديث: **'اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم'**.

- **البيت:**

فـإن حـكـمـت بـعـد الإجـتـهـاد أجـــران أو أجـــر بـــلا سـهـاد

- **الشرح:**

إن القاضي المسدد لا يتسرع في حكمه ورأيه بل يعمل جهده في اجتهاده، ويستعين الله تعالى لتسديده وتوفيقه، ويستنبط لحكمه ويجهد فكره وخاطره وقلبه وفهمه وبعد هذا كله يصدر حكمه الجلي، فإن كان عدلاً وحقاً فينسبه إلى توفيق الله تعالى ولا يدعي متباهياً متعالياً، كما سأنبه على ذلك فيما سيأتي:

ثم إذ حكم بهذا الإجتهاد وأصاب حكمه الحق والعدل فهنيئاً له ثم هنيئاً إذ ورد عن رسولنا الكريم: **'والمجتهد المصيب له أجران والمجتهد المخطئ له أجر واحد'**[1].

- **البيت:**

واعـتـبـرْ مـمـنْ قـضَـىٰ ونَـدِمـا مـمـا خَـفِـي عـنـا كـذا وعُـلِـمـا

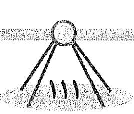
- **الشرح:**

العِبَرُ: جمعُ عِبْرة، وهي كالموعِظة مما يَتَّعِظُ به الإنسان ويعمل به ويعتبر ليستدل به على غيره.

والعبرة: الإعتبارُ بما مضى، وقيل: العِبْرة الإسم من الإعتبار.

---

(١) رواه البخاري.



وقال الفراء: العَبَرُ الإعتبار، قال: والعرب تقول اللهم اجعلنا ممن يعبر الدنيا ولا يعبرها أي من يعتبر بها ولا يموت سريعاً حتى يُرضيك بالطاعة.

اعلم أيها القاضي النبيه الحصيف، أن الله تعالى قال: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ ﴾(1)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ ﴾(2)،

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ ﴾(3)

وعلينا دوماً أن نعتبر مما مضى من أعمارنا، ومما قضينا في أحكامنا ومما مضينا من حياتنا، وأن نقرعَ السِّن من ندم مما فاتنا أو أخطأنا أو غاب عنا، علمنا منه وما لم نعلم.

والعاقل من اتعظ بغيره واحتاط كي لا يقع بما وقع فيه. وكم رأينا من أناس تقلبت بهم الأحوال وانقلبت عليهم الأمور وزاغت منهم الأبصار، فوقعوا في البلاء والبلواء. وحط فيهم الزمن وردهم إلى الصَّغار والهوان.

وإنما ذكر الله لنا قصص من قبلنا لتكون لنا عبرة، فتشبه حالنا حالهم.

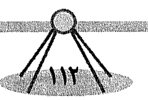
كما إنه ينبغي للقاضي - وغير القاضي- أن يندم على أخطاء اقترفتها يداه عجزاً أمام قدرة الله تعالى وتحقيقاً للعبوديه.

---

(1) سورة يوسف: الآية ١١١

(2) آل عمران: ١٣

(3) النازعات: ٢٦



وذلك مما خفي عنا أو علمناه، قصدناه أم لم نقصده فنضع تقربنا وإنابتنا وندمنا بين يدي الله تعالى؛ فهو غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى.

والله يتولانا وإياكم.

عبرة:

روى الإمام أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **'بينما امرأتان معهما ابنان لهما إذ جاء الذئب فأخذ أحد الإبنين، فتحاكمتا إلى داوود، فقضى به للكبرى، فخرجتا فدعاهما سليمان، فقال: هاتوا السكين أشقه بينكما، فقالت الصغرى: يرحمك الله هو ابنها لا تشقه، فقضى به للصغرى'.**

- البيت:

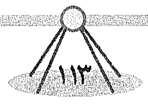
فالنفسُ دوماً عرضةٌ للتهمهْ والعصمةُ خَصَّتْ نبيَ المرحمهْ

- الشرح:

النفس وهي الجوهر اللب اللطيف الحامل لفقه الحياة والحس والحركة الإرادية.

وهي أنواع:

- **النفس الأمارة:** وهي التي تميل إلى الطبيعة البدنية وتأمر باللذات والشهوات الحسية.
- **النفس اللوامة:** وهي التي تنورت بنور القلب، كلما صدرت عنها سيئة بحكم جبلتها الظلمانية أخذت تلوم نفسها.
- **النفس المطمئنة:** وهي التي تم تنورها بنور القلب حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بالأخلاق الحميدة.
- **النفس الإنسانية:** هي كمال أولي لجسم طبيعي آلي من جهة ما يدرك الأمور الكليات ويفعل الأفعال الفكرية.
- **النفس الناطقة:** هي الجوهر المجرد عنه المادة في ذواتها مقارنة لها في أفعالها.



- **النفس القدسية**: هي التي لها ملكة استحضار جميع ما يمكن للنوع أو قريباً من ذلك على وجه يقيني.

العصمة:

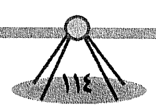
العصمة ملكة موهوبة على جهة التخصيص فيها اجتناب المعاصي مع التمكن منها.

والعصمة لا تكون إلا للأنبياء الذين يبلغون أحكام الله تعالى لعباده.

فالله تعالى جعل من صفاتهم الصدق، والأمانة، والتبليغ، والفطانة ويستحيل عليهم الكذب، والخيانة، والكتمان، والبلاهة كما ان الله تعالى خصَّهم بالعصمة عن الأخطاء لأنه شرَّفهم بالتقويم بواسطة الوحي.

فانتبه بارك الله فيك واسأل الله تعالى دوماً التقويم والتسديد.





القسم السادس

البعد عن الرياء والعجب

أنَّ الـرِّيـاءَ مـحـبِـطُ الأعـمـالِ — كـمـا أتـى في مـجـمـلِ الأقـوالِ

فـعـزَّةُ الـقـاضي تـواضـعٌ وردّ — عـن النبيِ المصطفى قَـولٌ أسَـدّ

فـأصـلـحِ الـظـاهـرَ بـالـتـوافـقِ — مـع بـاطـنٍ لا وصـفَ كالمنافقِ

واحـتـرسْ بَـعـداً عـن الـزلاتِ — مـسـتـغـفـراً ومـخـلـصَ الـنـيَّـات

كُـرمـتَ حـقـاً في مـكـانٍ أنـت بهِ — أَمـرٌ مـن الـرقـيـبِ حـقـاً فانتبَهْ

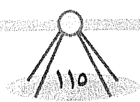
واقـصـدِ الـخـيـرَ بـعـدلٍ تـرفُـلُ — بنعمة الأخـرى وهـذا الموئلُ

ثـم الإلـهَ فـاسـألـنْ دومـاً ولا — تـأبَـهْ لـرزقٍ مُـدبِـرٍ أو مقبلاً

إيـاك والـنـفـسَ الـتـي قـد تـامـرُ — إن بـالـغـرور والـريـا لا تُـغـدرُ

إذْ عـادةُ النفسِ تـسـوءُ بالرياءْ — وبـالـغـرور عـجـبـاً كـلٌ بـلاءْ

فـإن تـشـوفـتْ إلـيـك النفس — فـردهـا لـلأصـلِ قـلْ يـانـفـسْ



شرح

البعد عن الرياء والعجب

- **البيت:**

أنَّ الــرِّيَــاءَ مـحـبِـطُ الأعــمـالِ   كـمـا أتـى فـي مـجـمـلِ الأقـوالِ

- **الشرح:**

أيها القاضي النبيه الحصيف:

إن الله عز وجل وضعك في هذا المقام الذي له مكانة، واختارك لتكون قاضياً عادلاً مميزاً عن أهل زمانك فانتبه -يرحمك الله - ألَّا تزل بك قدم، وتتباهى مرائياً بما حكمت أو متعالياً بما سطرت لأن الرياء محبط للعمل وهذا وارد عن رسولنا محمد ﷺ ، فإن تطرقتْ إليك هذه الصفة الذميمة، وسولت إليك نفسك أو غرتك في هذا المقام، عليك أن تعالجها وتكبح جماحها، وتردها عن غيها، لأن الرياء مرض خفي ضاقت منافذه والوقوف على دقائقه خفيٌ على كثير من الناس.

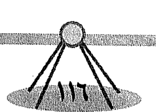
ولذا عليك أن تنظر وتقرأ هذه المعالجات من الأدوية الربانية الرسولية عسى أن تجد ما يثلج لك الصدر ويغلق عليك أبواب الرياء والغرور.

وقد أتت الدلائل على ذلك تترا من الكتاب والسنة وإجماع الأمة، ألم يقل ربنا تعالى ذامًا : ﴿ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧ ﴾[1].

فاحذر الرياء بأقسامه المنوعة المتعددة:

- **أولاً:** رياء لغرض دنيوي، وهذا يراد به مرآة المخلوقين.
- **ثانياً:** رياء يشارك العمل، فإن شاركه من أصله فهو محبط له إتفاقاً.
- **ثالثاً:** رياء يخالط النظر إلى التحصيل المادي فإنه ينقص أجر العمل ولا يبطله.
- **رابعاً:** رياء يصاحبه عمل يرجو فيه ومنه ثناء الناس الحسن.

(١) سورة الماعون: الآية ٦ - ٧



روى مسلم عن أبي ذر ﷺ قال: قيل لرسول الله ﷺ أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير، ويحمده الناس عليه، قال: "**تلك عاجل بشرىٰ المؤمنين**".

ومن أعظم الأحاديث في عقوبة المرائين في الآخرة ما أخبرنا به ﷺ: "**أن الله تبارك وتعالىٰ إذا كان يوم القيامة ينزل إلىٰ العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل يقتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت علىٰ رسولي؟ قال: بلىٰ يا رب، قال: فماذا عملت فيما عُلِّمت؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار، فيقول الله: له كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت، ويقول الله: بل أردت أن يقال إن فلاناً قارئ فقد قيل ذاك، ويؤتىٰ بصاحب المال فيقول الله: ألم أوسع عليك حتىٰ لم أدعك تحتاج إلىٰ أحد؟ قال: بلىٰ يا رب، قال: فماذا عملت فيما آتيتك؟ قال: كنت أصلُ الرحم وأتصدق، فيقول الله: كذبت، وتقول له الملائكة: كذبت ويقول الله تعالىٰ: بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذاك، ويؤتىٰ بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله له: في ماذا قتلت؟ فيقول: أُمِرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتىٰ قتلت، فيقول الله تعالىٰ: كذبت وتقول له الملائكة: كذبت ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذاك، ثم ضرب رسول الله ﷺ علىٰ ركبتي فقال: يا أبا هريرة أولئك أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة**"[1].

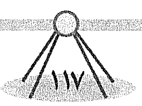
وكما أن للرياء عقوبة أخروية، فكذلك له عقوبة دنيوية، وهي أن يفضحه الله تعالى، ويظهر للناس قصده السيئ، وهو أحد الأقوال في تفسير قوله ﷺ: "**من سمَّع سمَّع الله به، ومن راءىٰ: راءىٰ الله به**"[2].

قال ابن حجر: قال الخطابي معناه: من عمل عملاً على غير إخلاص وإنما يريد

---

(١) رواه الترمذي وصححه ابن حبان

(٢) رواه البخاري ومسلم



أن يراه الناس ويسمعوه جُوزِيَ على ذلك بأن يشهره الله ويفضحه ويظهر ما كان يبطنه.

وقيل: من قصد بعمله الجاه والمنزلة عند الناس ولم يرد به وجه الله فإن الله يجعله حديثاً سيئاً عند الناس الذين أراد نيل المنزلة عندهم ولا ثواب له في الآخرة.

وكلما ابتعد الإنسان عن مواطن إظهار العبادة: كلما سلم عمله من الرياء، ومن قصد مواطن اجتماع الناس، حرص الشيطان عليه أن يظهر العبادة لأجل أن يمدحوه ويُثنوا علي.

والعبادة التي ينبغي إخفاؤها هنا هي ما لا يجب أو يُسنُّ الجهر به كقيام الليل والصدقة وما أشبههما، وليس المقصود الأذان وصلاة الجماعة وما أشبههما مما لا يُمكن ولا يُشرع إخفاؤه.

- البيت:

فـعـزَّةُ الـقـاضـي تـواضـعٌ وردْ عـن النبيِ المصطفى قـولٌ أسَـدْ

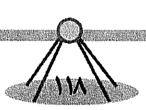
- الشرح:

أيها القاضي النبيه الحصيف:

إن الله تعالى قال في كتابه الكريم: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥ ﴾[1].

إن القاضي الصادق، والذي أنار المولى قلبه بنور الحق والعدل، وأيقظ في قلبه جذور الإيمان الذي يعبق شذاه من خلال أحكامه العادلة النيِّرة، يعتز بعزة الله تعالى،

(١) سورة فاطر: الآية ١٠



ويرفع رأسه عالياً بطاعته ورضاه، ويفاخر أهل الأرض قاطبة بهذه العزة المتناهية الرائعة التي يُضرب بها المثل الأعلى.

وتعكس هذه العزة بالله تواضعاً جماً، وعفواً في القلب فاق روعةً وعلواً وبهاءً.

وقد قال ﷺ: '**إن العفو لا يزيد العبد إلا عزاً، فاعفوا يعزكم الله، وإن التواضع لا يزيد إلا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله، وإن الصدقة لا تزيد المال إلا نماء فتصدقوا يزدكم الله**'(١).

وهذا من توجيهات رسولنا محمد ﷺ والتي تصلح القلوب والنفوس ويزاد المؤمن بها إيماناً.

أما القاضي الذي يتصف بهذه الصفات، ويجعل ميزانه تلك التوجيهات فسوف تراه على غير مثال سبق وعلى غير النهج الذي اتسق، فهنيئاً لك أيها القاضي، ثم هنيئاً لك مرة أخرى.

حكاية:

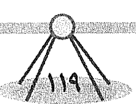
قال نافع كنت أسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه كثيراً يقول: 'ليت شعري من هذا الذي يأتي من ولدي يملأ الأرض عدلاً؟'؛ وقد مرّض (مرَّت قصة عمر بن عبد العزيز).

فصلاح الآباء والأمهات يتدرج وينساب إلى الأبناء والبنات.

وقد قال تعالى في سورة الكهف في حكاية الغلامين اللذين مات والدهما وترك لهما كنزاً وقد أقام سيدنا الخضر بصحبة سيدنا موسى عليه السلام الجدار لهما لحفظ كنزهما وأخبرنا الله تعالى سبب ذلك فقال ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾(٢).

(١) رواه أصحاب السنن.

(٢) سورة الكهف: الآية ٨٢



- البيت:

فـأصـلـحِ الـظـاهـرَ بـالـتـوافـقِ مـع بـاطـنٍ لا وصْـفَ كالمنافقِ

- الشرح:

أيها القاضي النبيه الحصيف:

إعلم رحمك الله أن المولى عزّ وجل حمّلك أمانة جليلة ومسؤولية خطيرة لا يختلف فيها إثنان، مهما تعاقبَ الملوان، واختلف الدهران، لذا عليك لزاماً إصلاح الظاهر والباطن، حتى تكون مميزاً عن بقية الناس إذ غيرك عليك لا يقاس، وهذا لا شك فيه ولا التباس. وكن مع ذلك موافقاً مع نفسك وأعمالك وأقوالك. فإن صلاح الظاهر دلالة على صلاح الباطن.

قال الشاعر:

إن الـكـلام لـفـي الـفـؤاد وإنـمـا جعل الـلـسـان على الـفـؤاد دليلاً

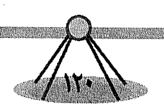
واحذر النفاق والمنافقين فهم خطر عظيم وإن النفاق في اشتقاقه مرعب ومفزع.

وقد سمي المنافق منافقاً تشبهاً بالنفق وهو السرب في الأرض.

وقيل إنما سمي المنافق منافقاً لأنه نافق، كاليربوع وهو دخوله نافقاته.

والخلاصة:

أن عليك أيها القاضي المكرم أن تجتهد في إصلاح ظاهرك متمسكاً بالآداب الشرعية حافظاً للمروءة، عالي الهمة في العبادات والصلاح والإصلاح وأن تبتعد عن كل ما يؤثر على شخصيتك ويثنيها.



وأن تتخلق باخلاق القرآن لأن قدره عظيم ومرتبته رفيعة عالية.

ومعلوم أن النية شرطت: لتمييز أحكام الأفعال.

- وشرطت: لمحاسن المقاصد؛
- وشرطت: لطلب مرضاة الله تعالى؛
- وشرطت: للإيجاب الواقعي؛
- وشرطت: للإنعقاد القصدي؛
- وشرطت: لطهارة الظاهر والباطن؛
- وشرطت: لتبين الإخلاص والصدق؛
- وشرطت:لوجود العمل؛
- وشرطت: في صحة العبادات والطاعات ومحاسن الصدقات؛

فما أحرى أن تكون في إنفاذ الأحكام والقضاء.

اللهم أبعدنا عن الزلات، نستغفرك ونتوب إليك.

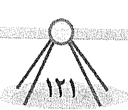
- **البيت:**

واحترس بعداً عن الزلاتِ ... مستغفراً ومخلصَ النيَّات

- **الشرح:**

اعلم أيها القاضي الحصيف النبيه:

أنه من الواجب عليك وأنت صاحب المقام الرفيع أن تنزه نفسك وتحترس من الوقوع في الزلات والأخطاء ما استطعت إلى ذلك سبيلاً، لأنك مراقب في أعمالك وتصرفاتك وحركاتك وسكناتك، وعليك أن تترك المحظورات والممنوعات وتحذر



من الهفوات، مع الإعتقاد أن العصمة لا تكون إلا للأنبياء ولكن حاول جهدك واحذر فيما ذكرته لك.

فإذا ابتعدت عن الزلات رزقك الله تعالى الطهارة الكاملة وطهَّرك من أي دنس أو رجس أو شبهة أو شك أو غير ذلك وأفاض عليك من الفتوحات وآنسك في وحدتك.

فإذا ما وقع منك شيئ من ذلك بقصد أو من غير قصد فاسأل المولى تعالى الصفح والعفو عن الزلات والعثرات، فإن هذا يقع من صالحي البشر والناس؛

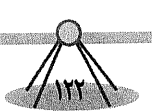
ولذا فإن من صفاته تعالى العفو وقبول الإعتذار والتوبة والإنابة.

عسى أن يبدل الله تعالى السيئات حسنات بالإنابات الصادقات.

فوائد البعد عن الزلات:

١. ينقي السريرة والنفس.
٢. خلوص الباطن من الأحقاد والحسد.
٣. يرفع الله قدر صاحبه في الدنيا والآخره.
٤. الدعاء للابتعاد عنها وهو أعظم دواء وأنفع علاج.
٥. جهاد النفس والصبر عن الزلّة والمعصية.
٦. معرفة عواقب الزلَّة والمعصية ونتائجها السيئة.
٧. البعد عن أسباب الزلات ومقوماتها والداعي لها، هو طريق الفلاح والصلاح.
٨. الحذر كل الحذر من رفقاء السوء، لأنه يريد السوء والبلاء.
٩. تذكر فجأة الموت وما بعده من غسل وكفن وصلاة وحمل على الأكتاف ونزول القبر ولقاء الملكين.
١٠. تذكر يوم الحساب يوم القيامة ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ٢٤ ﴾[1].
١١. التحلي بالإرادة القوية، وهي تزيد صاحب الهمة جمالاً وكمالاً.

(١) سورة الصافات:الآية ٢٤



وكذلك أكثر من الإستغفار إلى الله عز وجل:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾(١).

وفي الحديث قال ﷺ: 'ما أصر من استغفر'.

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾(٢) قال ابن عباس رضي الله عنه: 'كان فيهم أمانان نبي الله والإستغفار قال فذهب نبي الله وبقي الإستغفار'

وفي الحديث: **'من لزم الإستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ومن كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب'**(٣).

وفي الحديث: **'إني لأستغفر الله وأتوب في اليوم سبعين يوماً وفي رواية مائة مرة'**(٤).

في شعب الإيمان عن يوسف بن الحسين قال: 'سُئِل ذو النون المصري عن الإستغفار، فقال: يا أخي الإستغفار إسم جامع لمعان ستة:

- **أولهن:** الندم على ما مضى.
- **والثاني:** العزم على عدم الرجوع إلى الذنوب.
- **والثالث:** إذا كان فرض ضيعته فيما بينك وبين الله تعالى، (أي فيأتي الإستغفار فيعوضه).
- والرابع: أداء المظالم إلى المخلوقين في أموالهم وأعراضهم يصالحهم عليها.
- والخامس: إذابة - أي إذهاب- كل لحم وجسم نبت من الحرام.
- والسادس: إذاقة البدن ألم الطاعات كما ذاق حلاوة المعصية'.

قلت: والمقامان الأخيران من صفات الأكابر والصادقين.

---

(١) سورة آل عمران:الآية ١٣٥

(٢) سورة الأنفال:الآية ٣٣

(٣) رواه أبو داود

(٤) رواه البخاري.

والحاصل أن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: 'لا كبيرة مع الإستغفار، ولا صغيرة مع الإصرار'.

والإستغفار، كما هو معروف: يكون في اللسان، والندم في القلب، والترك بالجوارح.

وفي الحديث: '**من قال استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفرت ذنوبه وإن كان قد فرَّ من الزحف**'[1].

وإلحاقاً لما ذكرته وتباعاً لما أظهرته من الإحتراس والبعد عن الزلات وما إليها، والإستغفار وما يتعلق به ويقيده.

عليك أن تخلص النية لله تعالى، وفي الحديث: '**إنما الأعمال بالنيات**'

وقال ابن رسلان في زبده:

فصحح النية قبل العمل	وأتِ بها مقرونة بالأول
وإن تدم حتى بلغت آخرة	حزت الثواب كاملاً في الآخرة
ونية والقول ثم العمل	بغير وفق سنه لا تكمل

فلا بد من الإخلاص بالنية بين يدي الله تعالى في أحكامك وقضائك وقبل أي عمل تقوم به حتى يكون مقبولاً عند الله تعالى.

- ## البيت:

كرمتَ حقاً في مكانٍ أنت بهِ	أمرٌ من الرقيبِ حقاً فانتبهْ

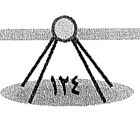
- ## الشرح:

أيها القاضي الحصيف النبيه:

إن الله تعالى ذكر في كتابه العزيز تكريم بني آدم فقال: ﴿وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾[2].

(١) رواه الحاكم على شرط الشيخين.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧٠

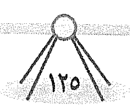


فأنت مكرم بحكم الخلقة الربانية ومكرم بحكم الصفة العلمية القضائية. وذلك على سبيل التحبيب والتكريم، وهذا التكريم له أسبابه حيث اتفقت العقول وترابطت على كرامة القاضي وصيانة وذلك لأسباب عديدة متنوعة:

١. لأنك تحكم بين العباد وبحكم الله تعالى.
٢. لأنك لك آراؤك واجتهاداتك واستقلالاتك، مما يقتضي التكريم والتفخيم.
٣. لأنك معتد بشخصيتك المنوطة بالكرامة المطلقة، والمراد منها التفضيل والتميز.
٤. لأنك في كرامة لها قيمتها وقدرها لا تزان بكنوز الأرض تشريفاً ورفعةً وتخصيصاً.
٥. لأنك متلبس بخلعة التوقير وبشخصية فذة توجب على المجتمع إكرامك واصطفائك.
٦. لأنك مكرم ومفضل بالعقل الذي هو عمدة التكليف كي تضبط الأحكام، حيث هو أعظم خصال التكريم.
٧. لأنك تكرم حملاً على صبغة الإمتنان لإقامة الأحكام، في مقام الوعد المنجز.
٨. لأنك علم من أعلام الموقعين عن رب العالمين بتكريم مخصوص ومنظور.
٩. لأنك لك الجزاء التكريمي بمفهومه الأخروي مع التوقير والتقدير.
١٠. لأنك تمعن النظر المحكم في أحكامك قبل إطلاقها، ففي سياق التكريم والتبجيل تعمل.

والحاصل أنك أيها القاضي مكرم ومشرف عند الله تعالى، لأنك تحكم بميزان العدل والإنصاف بما أراك الله تعالى من الكتاب والسنة وإجماع الأمة.

فأنت في هذا المكان الشريف لك هذا المقام والرفعة والتكريم.



لطيفة:

رأى لقمان عليه السلام في منامه نصف النهار قائلاً يقول: هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس بالحق فقال: إن خيرني الله تعالى تخيرت العافية ولم أقبل البلاء، فإن عزم علي فسمعاً وطاعة فقالت الملائكة: ولم يا لقمان قال: لأن الحاكم بأشرِّ المنازل واكدرها يغشاه الظلم من كل مكان فإن لم يصب فبالحري أن ينجو وإن أخطأ أخطأ الطريق إلى الجنة، ومن يكون في الدنيا ذليلاً خير من أن يعيش شريفاً فتعجبت الملائكة من حسن كلامه، فأعطاه الله الحكمة فاستيقظ وهو يتكلم بها؛ واتفق العلماء على ولايته وحكمته لا نبوته.

فإكرامك وتقديرك واحترامك وإعظامك على النهج الذي ذكرته لك هو أمر من رب العالمين ضمن الضوابط الشرعية والعلمية التوفيقية من الله تعالى.

فعليك أن تعي حقيقة ما أنت فيه. وأن تنتبه في هذا المقام العالي الذي خصك الله به وتحافظ عليه رفعة وتقديراً واحتراماً وعلماً وعملاً.

والله يتولانا وإياك.

- البيت:

واقصدِ الخيرَ بعدلٍ ترفُلُ　　　بنعمةِ الأخرىٰ وهذا الموئلُ

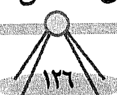
- الشرح:

أيها القاضي الحصيف النبيه:

إن المقاصد جمع مقصد، ويقال قصدت الشيئ أي طلبتُه بعينه، والقصد أيضاً العدل، وقصد في الأمر توسط ولم يجاوز الحد.

وذكر الإمام الغزالي أن النية والإرادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد.

لذلك أيها القاضي النبيه إجعل غاياتك ومقاصدك وما أعطاك الله إياه من نوابغ الفكر وصفاء القلب والقصد الحسن اجعل ذلك لله كي تحكم بالعدل وأن تحق



الحق به. فإذا كنت كذلك -وينبغي أن تكون كذلك- فإنك ستلبس ثوب الحق وترفل بثياب التقوى والعافية.

وأهل الجنة يرفلون بثياب من سندس واستبرق يحلون فيها من أساور من ذهب وفضة ولؤلؤاً وغير ذلك من النعم الكثيرة التي وعد الله فيها أهل طاعته وتقواه، اللهم اجعلنا منهم يا رب العالمين.

زد على ذلك إنك تكرَّم بالآخرة بنعمة الجنة وخيرها، وما أعد الله فيها للمتقين الصالحين قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾[1].

والموئل المرجع إلى الله تعالى والسعي في الدنيا على مدارج الصالحين حتى تحوز وتفوز بالآخرة إذ هي المطلوب والموئل.

والله يتولانا وإياك بفضله.

- **البيت:**

ثم الإله فاسألن دوماً ولاَ ... تأبه لرزقٍ مدبّرٍ أو مقبلاً

- **الشرح:**

الرزق لغةً، هو العطاء دنيوياً كان أم أخروياً. قال تعالى: ﴿ وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[2] والرزق رزقان.

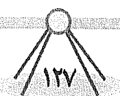
قال صاحب الجوهرة:

والرزق عندنا ما به انتفع ... وقيل لا بل ما مُلك وما اتبع

فيرزق الله الحلال فاعلما ... ويرزق المكروه والمجرما

(١) سورة محمد: الآية ١٥

(٢) سورة الذاريات: الآية ٢٢



فقضية الرزق من حيث الإيمان جزء مهم في الإعتقاد، لأن الله تعالى تكفل للخلق برزقهم، مهما كانوا، وأينما كانوا مسلمين أو كافرين كباراً صغاراً نساءً ورجالاً جناً وإنساً حيواناً وطيراً قوياً أو ضعيفاً، عظيماً أو حقيراً، قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٦ ﴾[1].

وروي أن النبي ﷺ قرأ: ﴿ أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ٢ ﴾[2] قال يقول: ابن آدم مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، ولبست فأبليت، وتصدقت فأمضيت.

هي القناعة فالزمها تعش ملكاً	**ولم يكن منك إلا راحة البدن**
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها	**هل راح منها بغير القطن والكفن**

جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ ﴾[3].

المراد بها القناعة.

وقال ﷺ: '**القناعة مال لا ينفذ**، وقيل يا رسول الله ما القناعة؟ قال: **الإياس مما في أيدي الناس وإياكم والطمع فإنه الفقر الحاضر**'[4].

قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: 'أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع'.

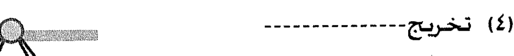
وقيل اجتمع كعب وعبد الله بن سلام، فقال له كعب: يا ابن سلام من أرباب العلم؟ قال: الذين يعملون به، قال: فما أذهب العلم عن قلوب العلماء بعد أن علموه؟ قال: الطمع وشره النفس وطلب الحوايج إلى الناس.

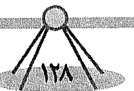
(١) سورة هود: الآية ٦

(٢) سورة التكاثر: الآية ١ – ٢

(٣) سورة النحل: الآية ٩٧

(٤) تخريج--------------





فينبغي أيها القاضي النبيه: أن تعلق قلبك بالله دوماً، وخاصة في موضوع الرزق الذي هو موضع اهتمام في الحياة الدنيا من كل المخلوقات، ولا تعلق قلبك بأحدٍ من الخلق مطلقاً، وإياك ثم إياك أن تفكر وأن تحسب دخول الأموال والأرزاق إليك ومتى تأتي ويحين وقتها، بل اترك الأمر إلى الله تعالى، فهو أولى بك منك، وسلم تسلم واعلم أن المقضي كائن، ولكن عليك أن تسعى بالطرق التي يسَّرها الله لك. ولا تأبه لرزق أقبل أو أدبر لأن المقدِّر هو الله تعالى؛ وقد ورد في الأثر: 'ما كتبه الله تعالى لك سيأتيك على ضعفك، وما لم يكتبه لك لن يأتيك على قوتك'[1].

والله تعالى يتولانا وإياك بفضله.

- **البيت:**

إيــاكَ والــنـفـسَ الـتـي قـد تأمر إن بـالـغـرورِ والـريـا لا تُـغّـدرُ

- **الشرح:**

الخصال المهلكة: التعالي، الرياء، الغرور.

الرياء: هو ترك الإخلاص في العمل وحب المحمدة.

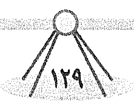
والغرور: هو سكون النفس إلى ما يوافق الهوى ويميل إليه الطبع.

فقال تعالى: ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾[2]، فقرن الكبر بالفساد.

واعلم أن أهل الرياء يتظاهرون بالتعفف والنسك، ومُجانبة الحرام ومواظبة الصلاة والصيام لكي يشتهرَ ذكرهم عند الخاص والعام، ثم يلقون ذوى الأموال بالبشر والإكرام والتلطف في المقال، ويجعلون الدين سلماً إلى الدنيا، وهؤلاء أشر

(١) رواه الإمام أحمد وغيره

(٢) سورة القصص: الآية ٨٣



من اللصوص والقطاع وذلك أن شهره اللصوص والقطاع تدعو إلى الاحتراز منهم، وتشبه هؤلاء بأهل الخير يحمل الناس على الاغترار بهم.

قال الشاعر:

صلى وصامَ لأمرٍ كان يأمله	حتى حواهُ فما صلى ولا صامَ

وما من خلة هي للغنى مدح إلا وهي للفقير عيب.

فإن كان شجاعاً سمي أهوجاً	وإن كان مؤثراً سمي مفسداً
وإن كان حليماً سمي ضعيفاً	وإن كان وقوراً سمي بليداً
وإن كان لَسِناً سمي مهذاراً	وإن كان صموتاً سمي عيباً

قال ابن كثير:

الناس أتباع من دامت له نعم	والويل للمرء إن زلّت القدم
المال زين ومَن قلّت دراهمه	حتى كمن مات الا أنه صنم

وعن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: **'يا معاذ احذر أن يرئ عليك أثار المحسنين وأنت تخلو من ذلك فتحشر مع المرائين'**(1).

والرياء نوع من العجب والكبر والخيلاء

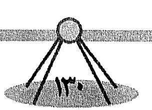
وهذه الصفات تُكسب المقت وتمنع التآلف قال رسول الله ﷺ: **'لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر'**(2).

وفي الحديث الكريم قال رسولنا الكرم عليه أفضل الصلوات: **'إنّ أخوف ما أخافُ عليكم الشرك الأصغر**، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله: قال: **الرياء'**(3)

(1) ذكره صاحب روض الأخيار

(2) رواه مسلم

(3) رواه الإمام احمد



يقول الله تعالى إذا جزي الناس بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن في الدنيا، فانظروا هل تجدون عندهم جزاء[1].

فالرياء ذنبه عظيم ولذلك شبهه رسول الله ﷺ بالشرك الأصغر.

- **البيت:**

إذ عــادةُ النفسِ تــسـوءُ بالرياءْ وبــالــغــرورِ عــجَــبَــاً كــلٌ بــلاءْ

- **الشرح:**

أيها القاضي الحصيف النبيه:

إن النفس التي خلقها الله تعالى مدحها أحياناً بأنها راضية مرضية هانئة طيبة، وأحياناً حذرنا منها وذكر أنها لوامة تعود صاحبها إلى ما يجرّ إليه اللوم والعتب.

وقال الشاعر:

وخالف النفس والشيطان واعصهما وإن هما محضاك النصح فاتهم

لذا تركُ نفسك وهواها سعىٌ لها في رداها.

ومن عاداتها تحب التباهي والتعالي والمباهاة والرفعة سواء كان ذلك بالرياء.

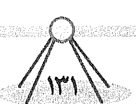
أوالغرور أوالعجب، وهذه أمراض فيها بلاء وضنك وتعب ومشقة.

فإياك ثم إياك أن يصيبك شيئ من هذه الأمراض التي قلَّ أن يبرأ صاحبها منها إذا تمكنت منه وتشربتْها نفسه.

فالرياء: داء عضال يُغضب الربَّ، ويحبطُ الأعمال، وقد حذرنا الله تعالى ورسوله منه في القرآن والسنة لسوء عاقبته.

---

(١) ذكره الإمام أحمد



ومعنى الرياء مشتق من الرؤية والإظهار ليرى الناس العمل فيحمدوه عليه ويمدحوه بالصفات الجميلة بأنه عامل ومجاهد، ومنفق، وجواد؛

وبعضهم يعمل أعمالاً يتوهم أنها من الحسنات فإذا هي سيئات وبلايا.

ولذا قال سفيان الثوري: ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء ، وقرأ قوله تعالى: ﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾[١].

وعن عبد الله بن عمر عن أبيه ﵄ أنه دخل المسجد فإذا هو بمعاذ بن جبل يبكي عند قبرِ رسول الله ﷺ فقال مايبكيك يا معاذ؟ قال حديث سمعته من رسول الله ﷺ يقول: **'اليسير من الرياء شرك، وإن الله يحب الأتقياء الأنقياء الأبرار الذين إذا غابوا لم يفقدوا وإذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدى ينجون من كل غبراء مظلمة'**[٢].

وعن يحي بن كثير قال: رأس التواضع ثلاث:

١. أن ترضى بالدون من شرف المجلس.

٢. وأن تبدأ من لقيته بالسلام.

٣. وأن تكره المدْحَة السمعة والرياء بالبر.

الغرور:

وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾[٣].

وقال سعيد بن جبير:

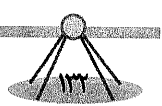
الغرور بالله أن يصرَّ العبد في معصية الله ويتمنى على الله في ذلك المغفرة.

---

(١) سورة الزمر: الآية٤٧

(٢) رواه ابن ماجة والطبري في الأوسط

(٣) سورة لقمان: الآية ٣٣



والغرور في الدنيا أن يغتر بها وتشغله عن الآخرة، فيمهد لها ويعمل لها كقول العبد إذا أفضى إلى الآخرة: ﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ٢٤﴾[1]؛

وأما متاع الدنيا الغرور: فهو كل ما يلهيك عن طلب الآخرة فهو متاع الغرور وما لم يلهك فليس بمتاع الغرور لكنه متاع وبلاغ إلى ما هو خير منه.

وقال ابن السماك: الناس ثلاثة رجال:

رجل زاهد: خرجت الأفراح والأحزان من صدره عن اتباع هذا الغرور.

ورجل صابر: يشتهي الدنيا بقلبه ويتمناها لنفسه فإذا ظفر منها بشيء منها ألجم نفسه عنها تعففاً.

ورجل راغب: لا يبالي من أين أتته الدنيا ولا يبالي فيها.

والعجب:

إن العجب وهو الزهو بالنفس واستعظام الأعمال، وإضافتها إلى النفس مع نسيان إضافتها إلى المنعم المتفضل جلّ جلاله، وهو من الآفات الخطيرة التي تصيب الكثير من الناس، فتصرفهم عن شكر الخالق إلى شكر أنفسهم.

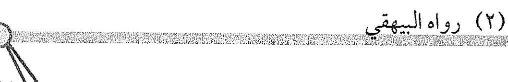
قال الماوردي: 'والإعجاب يخفي المحاسن، ويظهر المساوئ، ويكسب المذام ويصد عن الفضائل'.

وفي الحديث: **'ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوىً متبع، وإعجاب المرء بنفسه'**[2]

قال القرطبي: إعجاب المرء بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال مع نسيان نعمة الله تعالى.

(١) سورة الفجر: الآية ٢٤

(٢) رواه البيهقي



فإن احتقر غيره مع ذلك فهو الكبر المذموم.

والخلاصة: إن النفس من عاداتها التعالي والرياء والغرور والعجب وهذه بلايا نادراً ما ينجو منها امرؤ.

فأنت -أيها القاضي الحصيف- في مقامك العالي، ومكانتك المثلى، وما أعطاك إياه المولى من حرص على الدين والأحكام. كن راغباً ومنتبهاً ومبتعداً عن هذه الصفات المذمومة.

والله يتولانا وإياكم بهداه.

• البيت:

فـإن تـشـوفـتْ إلـيـكَ الـنـفـسُ فـردَّهـا لـلأصْـلِ قـل يانفس

• الشرح:

أيها القاضي الحصيف النبيه.

إن الله عز وجل قال في كتابه الكريم: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾(١)

قد أفلح من زكى الله تعالى نفَسه فزكاها هو بطاعة الله ورضوانه فطهرها من الذنوب والأثام الكبيرة والصغيرة، وأصلحها بالصالحات من الأعمال وروِّضها ووجهها نحو الطاعة فيكون جزاؤه الفلاح والنجاح وهو الفوز بالجنة.

والنفس مطمئنة ولوّامة:

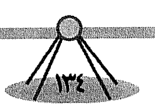
١- المطمئنة : قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ﴾(٢)

فالطمأنينة هي سكون في القلب وعدم اضطرابه وقلقه، سكون يثمر السكينة والأمن والأمان

---

(١) سورة الشمس: الآية ٧ - ١٠

(٢) سورة الفجر: الآية ٢٧



وفي الحديث: "البر ما اطمأن إليه القلب"[1].

وفي الحديث: "قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان ، وجعل قلبه سليماً، ولسانه صادقاً، ونفسه مطمئنة، وخليقته مستقيمة"[2].

من علامات النفس المطمئنة التي تعكس صورة صاحبها على مقتضيات الحياة:

١. أن تكون متوازنة متفاعلة متكاملة الجوانب لاتتصرف وفق الغرائز ولا يطغى عليها عقل متهور.
٢. عدم التناقض بينها وبين الإيمان المطلق.
٣. رقيقة تلقائية صادقة حولها هالة من نورها الداخلي.
٤. حرة وقَّادَة جياشة وفهَّامة واعية مدركة.
٥. راضية مسلمة لا شية فيها.
٦. ترفض المهاترات والمجادلات التي تفقدها نورها وهالاتها.

٢- اللوامة: قال تعالى ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ ﴾[3].

النفس اللوامة: هي: التي تكثر من لوم صاحبها لتقصيره.

هي: التي تجعل صاحبها يخشى وقوعه في المعصية.

هي: التي تحاسب نفسها عند الإقلال من الواجبات الشرعية.

هي: التي تقود صاحبها إلى فعل السوء.

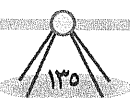
هي: التي تقع في الرذائل فتوبخ نفسها وتلومها.

وهي: التي لا تثبت على حال واحدة، وتتردد وتتقلب وتتلون،

(١) رواه أحمد عن أبي ذر

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده والبيهقي من شعب الإيمان.

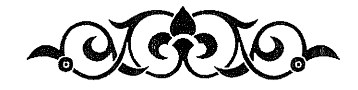
(٣) سورة القيامة: الآية ٢

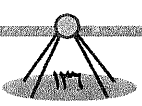


فتتذكر وتغفل، وتُقْبِل وتُعرِض، وتلطف وتتكشف، وتنيب وتجفو، وتحب وتبغض، وتفرح وتحزن، ترضى وتغضب، تطيع وتطغى، إلى غير ذلك من أحوال التردد والتقلب.

والخلاصة:

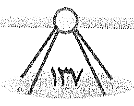
أن على العاقل دوماً أن يبتعد عن هذه الصفات اللوامة، فإن تشوفت إليه النفس -كعادتها- فليقل لها اتق الله وانظري إلى قول سيدنا علي ﷺ: 'يابن آدم إيلام التكبر والتعالي، أولّك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة، وما بينهما تحمل العذرة'.{





القسم السابع
واجبات لازمة للقاضي

واخترِ الأيسرَ حيثُ لا حرجٌ ... فإنه الفقهُ الذي فيهِ الفرجٌ
ردُوا الخصومَ واشفعوا جاء الخبرٌ ... كفلٌ لهُ وذاكَ أمرٌ مستطرٌ
ولا تقفٌ في بابِ حاكمٍ وردٌ ... بئسَ وذاكَ لم يكنٌ منهُ مَردٌ
وأحسنِ الهيئة في اللباسِ ... إذٌ أنتَ غيرُ الناسِ بالمقياسِ
ولا تزاولٌ مهنةً تباشرُ ... فيها عداوةٌ وذاكَ الظاهرُ
واتركِ القضاءَ للأرحامِ ... حيث يميلُ القلبُ في الأحكامِ
واقرأ علومَ القومِ حتىٰ ترتقي ... إذ حاملُ العلم سبيلُ المتقي
واحمدِ المولىٰ القدير سرمَدا ... إنّ حكمُكَ العدلُ فأنتَ المقتدىٰ
وأسألِ المولىٰ الختامَ الحسنَا ... كيما تكونَ في القيامِ كالسنا
واطلبِ العونَ السديدَ في القضا ... أبو حنيفةَ قضىٰ قبلَ القضا



شرح

الواجبات اللازمة للقاضي

- البيت:

واخترِ الأيسرَ حيثُ لا حرجٌ ... فإنه الفقهُ الذي فيهِ الفرجُ

- الشرح:

اعلم أيها القاضي الحصيف النبيه،

إن من أُولَى واجباتك القضائية الحكمية أن تختار الأيسر من الأحكام بين العباد والخصمين المتداعين، فيما لا يتناقض مع النصوص الظاهرة والأدلة الباهرة الواضحة، ولأن اليسر وترك العسر والتشديد من لوازم هذه الأمة ضمن الضوابط الشرعية والعقلية المقبولة المتلازمة مع شرعنا الحنيف.

وربنا تبارك وتعالى قال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[١] وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾[٢] وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾[٣] فعليك -صانك المولى- أن تختار الأيسر والأسهل من غير إفراط ولا تفريط بين المتخاصمين، ولا تتحرج من ذلك طالما رأيت ثمَّةَ رضى بينهما، وهذا هو عين الفقه والعلم والمعرفة.

وقيل لرسولنا الأكرم: أي الأديان أحب إلى الله؟ قال: '**الحنفية السمحة**'[٤]

وقال رسول الله ﷺ: '**خير دينكم أيسره**'[٥].

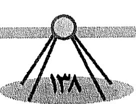
(١) سورة البقرة: الآية ١٨٥

(٢) سورة الحج: الآية ٧٨

(٣) سورة النساء: الآية ٢٨

(٤) رواه أحمد عن ابن عباس

(٥) رواه أحمد



قال تعالى: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾[1]

وهذا جليّ أن المولى عز وجل وضع الشدة والإصر عن هذه الأمة بضوابطها وقواعدها، والحرج الضيق.

ويستظهر ذلك بتوجيه رسولنا الأكرم ﷺ بقوله: **'إن الدين يسر ولن يشاد الدينَ أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا'**[2].

فالتيسير من أصول الشريعة الإسلامية وعنه تفرعت الرخص بتنوعها.

ومن اليقين أن هذه المعاني ومستلزماتها غير خافية عنك خاصة وأنت ابن بُجْدَتِها والمتمرس الحاذق الفطن؛ حيث تعيش بين القضايا والأحكام اليومية التي اختلطت بنفسك وعقلك اختلاط الماء بالعود الأخضر، مع التخصيصات الربانية التي خصك المولى تعالى بها.

بيد أن المراد من الإسترسال في هذا الموضوع هو السعي للخروج من الشدة إلى اللين، ومن العسر إلى اليسر، مع النظر في استصلاح الحال والأمرعند عرض القضايا بين يديك.

لذا فإن الله تعالى لم يجعل علينا الحرج البته، وذلك لكمال محبته لأمة محمد ﷺ ورأفته ورحمته.

- **البيت:**

رُدُّوا الخصومَ واشفعوا جاء الخبرْ   كـفــل لـــهُ وذاكَ أمـــرٌ مستطرْ

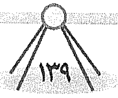
- **الشرح:**

أيها القاضي الحصيف:

إن الحكمة التي أعطاك الله إياها، ودثار الحكم الذي ألبسك المولى إياه، خصوصية مقدرة ومحفوظة، إذ هي أحكام ربانية مستقاة من كتابه وسنة نبيه.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٦

(٢) رواه البخاري عن أبي ذر



وبما أن الشيطان شأنه أن يوغر بين المتخاصمين والمتداعيين فعليك أن تلجمه بلجام الرد والصدّ، ومن أنواع ذلك، أن ترد الخصمين حتى يصطلحا ويؤوبا إلى نفسيهما.

وهذا من باب تذكر قول الله تعالى للمتخاصمين يوم القيامة حيث وردعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: **'تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين والخميس فيغفر فيهما لمن لا يشرك بالله شيئاً إلا المهتَجِرَيْنِ، يقال: ردوا هذين حتى يصطلحا'**[1] .

وبما أن الله أعطاك فسحة واسعة من الإجتهاد والترقي، فيحق لك أن ترغب المتخاصمين بشفيع بينهما يرضيانه عسى أن يخفف وطأة خصامهما. فقد قال الله تعالى في الشفاعة وإصلاح ذات البين: ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾[2].

وقال رسول الله ﷺ: **'أن الله تعالى يسأل العبد عن جاهه كما يسأله عن عمره فيقول له جعلت لك جاهاً فهل نصرت به مظلوماً أو قمعت به ظالماً أو أغثت به مكروباً'**[3].

الشفاعة:

الشفاعة هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقعت الجناية في حقه.

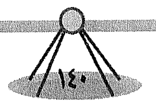
وهي أن يشفع القادر بوجاهته لإسقاط ذنبِ الخطأ والمحاسبة عمن ارتكبه، وأن يعفو ويسامح من ظلم ويتجاوز عمن وقع منه جناية في ذلك.

ومن يسلك هذه الطريقة ويرغِّب الخصمين بمن يشفع بينهما كالحكمين صلحاً فله أجرهم وثوابهم، وهذا أمرقد ذكره ربنا تبارك وتعالى، وحث عليه رسولنا الأكرم وهذا قد ورد في الأيات واستطرد بالأحاديث.

(١) رواه الترمذي

(٢) سورة النساء: الآية ٨٥

(٣) رواه الديلمي، يعمل به في فضائل الأعمال



وقد كتب رجل إلى يحي بن خالد البرمكي وكان كريماً فاضلاً فقال له:

شفيعي إليك الله لا شيئَ غيره ... وليس إلى رد الشفيع سبيلُ

فأعطاه عطاء لا يوصف.

وقال آخر:

وقد جئتكم بالمصطفى متشفعاً ... وماخاب من بالمصطفى يتشفع

إلى باب مولانا رفعت ظلامتي ... عسى الهم عني والمصائب ترفع

- البيت:

ولا تقفْ في بابِ حاكمٍ وردْ ... بئسَ وذاكَ لم يكنْ منهُ مَردْ

- الشرح:

أيها القاضي الحصيف:

إن المولى عز وجل أعطاك من حكمته، وغرس من قلبك معرفته، ورقَّاك حتى أجلسك في مكان تحكم فيه بحكم الله تعالى.

فأنت فيك سره وفيك عبرته وعلمه.

لذا عليك أن تحافظ على مقامك ومكانك ومكانتك؛

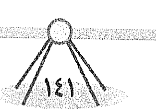
وإياك أن تترك هذه المعاني التي أكرمك الله بها.

فلا تقف علىباب حاكم أو أمير لاحاجة لك به مطلقاً.

فقد أشهدك الله تعالى على قيامه بالقسط والعدل قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾[1].

وقيل: نِعمَ الأمراء على أبواب العلماء، وبئس العلماء على أبواب الأمراء.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨



وقال الإمام مالك لهارون الرشيد: 'إن وقوف العلماء على أبواب الأمراء يزري بهم'.

وقال أبو حنيفة ﷺ: 'إذا رأيتم العلماء على أبواب الأمراء فاتهوهم'.

وهذا التوجيه من رسولنا الأكرم ليس حطاً من قدر الأمراء ولا النيل من مقامهم فهم أولوا الأمرِ يقيمون أحكام الدين، ويصلحون حال العباد والبلاد، ولكن إذا أتى الأميرُ العالمَ وقصد بابه ليقف على العلوم والمعارف، فهذا يدل على سعة عقله وتواضع نفسه، وحبه للعلم وأهله.

وكذلك رفعة للدين والعقيدة والعلم، لأن العالم يحمل في طيات نفسه وقلبه هذه المعاني والمسائل الدينية.

أما إذا كان العالم الذي خصه الله تعالى بهذا العلم،يعلم يقيناً أنه إذا زار الأمير أو وقف على بابه ليدفع ظلماً، أو يجلب منفعة للعباد والبلاد، ويصدح بالحق المتزن والقول الموزون الذي فيه خير، فلابأس بالذهاب واللقاء، خاصة في هذا الزمن الذي اختلفت فيه الأمور وتبدلت فيه الأحوال.

وكل ذا لعزةِ نفس القاضي ورفعةٍ للعلم، والحفاظِ على هيبتة وشخصيتهِ وقليل ما هم.

- البيت:

وأحسنِ الهيئة في اللباسِ إذْ أنتَ غيرُ الناسِ بالمقياسِ

- الشرح:

أيها القاضي الحصيف:

إن الله تعالى رفع فيك المقام وأعلى بك المكان والأحكام، وإنك لاشك يقبل عليك القاضي والداني مع اختلاف الناس وإنظارهم وأفكارهم، وربما يحكمون عليك بأنظارهم من خلال هيئتك ولباسك وجلستك وحركاتك وسكناتك.

لذلك يتوجب عليك أن تنتبه إلى هذه الأمور الدقيقةالحساسة.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[1]

قال أبو الدرداء ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**أصلحوا رحالكم وأصلحوا لباسكم حتى تكونوا كأنكم شامة في الناس**"[2].

فأنت أيها القاضي المكرم منظور إليك نظراً يختلف عن أنظار بقية الناس لأنك غير الناس بالمقياس والمنظور.

- **أولاً هيئتك:**

لا بد أن تتصف بالرزانة والحنكة والحكمة لتعطي للقوس مهابته وللقادم رتابته، ولحكمك روعته.

- **ثانياً لباسك:**

اعتن بما ترتدي من لباس، ذلك من الفرق إلى الرأس لتحافظ على الأناقة والنبراس فإنك غير الناس بالمقياس.

ففي ذلك توقير واحترام -كما هي العادة- من الملأ.

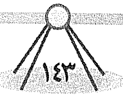
- **ثالثاً جلوسك وحركاتك وسكاناتك:**

قد مر سابقاً كيف ينبغي أن يكون مجلس القاضي. لا بد أن يكون منوطاً بالتقدير والإحترام، والمهابة والإكرام، وأن تضبط الفاظك وتصرفاتك ولا تأتِ بشيئ يخل في مجلس الأحكام، فإن ذلك يذهب بهائه ورونقه ورفعته وتقديره.

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٣٢

(٢) رواه أبو داوود



- **البيت:**

ولا تـــزاولْ مـهـنـةً تـبـاشـرُ فـيـهـا عـــداوةٌ وذاكَ الـظـاهـرُ

- **الشرح:**

اعلم أيها القاضي الحصيف يرحمك الله تعالى:

إنك من أهل العلم والمعرفة، وخصك المولى بإصدار الأحكام الشرعية التي فيها فضُّ الخصومات والخلافات بين الناس. بما أراك الله عز وجل.

والقاضي -كما تقدم- ينظر إليه الناس نظر تقدير واحترام وتبجيل وهذا يقتضي منه أن يحافظ على هذه النظرة التي تكاد أن تكون إجماعاً لايختلف فيه إثنان.

لذا من اللازم عليه أن لايزاول أو يباشر مهنة، أو تجارة أومصلحة أخرى لطالما هو في سدة القضاءلأن ذلك يتناقض مع قضاءه وعمله وحكمه.

وذلك للأسباب التالية:

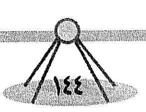
١. **المهنة تقتضي مخالطة الناس** الذين هم أصحاب المهن. التي يلتزمها ويعمل بها ويعاصر أهلها والعاملين بها.

والمعاصرة، كما قيل حرمان، بل فيها التجاحد والتنابذ والتباغض، فكيف تتفق هذه المعاني مع صفات القاضي الحصيف الورع.

٢. **التجارة بين القاضي والناس**، وفيها على الوجه الغالب - كما هو عصرنا الفاسد- الغش والخداع والكذب- إذ ورد **'التجار يحشرون يوم القيامة فجاراً إلا من اتقى وبر وصدق'**[1].

٣. **المصلحة الأخرى**، إن من واجب القاضي الورع والمتمسك بدينه وعقيدته أن لا يلتزم بأي مصلحة أو وظيفة أو عمل آخر غير القضاء والحكم لأن ذلك

(١) رواه الدرامي



كله -كما تقدم - يقتضي بناء علاقات مع الناس، والتفرغ لهذه المصلحة أو الوظيفة، -وربما تدور الأيام- وعندها لا بدّ أن يقصر ويهمل ولا يعطي حقَ الأمانة التي اسندت إليه، وربما يكون لأحدهم ارتباط بوظيفته الأخرى، أو مصلحته الثانية فيقف بين يديه للقضاء في حكم أو زواج أو نفقة أو غير ذلك، فماذا يفعل يومئذ؟؟...

والخلاصة:

إنك أيها القاضي الحصيف واجب عليك التفرغ والتهيوء للقضاء من غير أن تلتزم مهنة أو وظيفة أو تجارة، ليبقى القضاء مصاناً من لوك الألسنة من النفوس المريضة الذين ابتلينا بهم في عصرنا.

كما أنك إذا تفرغت وأشغلت نفسك بالقضاء وأحكامه فإنك تبعد عن نفسك الشبهة والقيل والقال، كما إنك تبعد عنك العداوة والبغضاء والحسد والتنافس على الدنيا وحطامها؛

وأنت أنت غير الناس حكماً وقضاءً وعملاً وعلماً.

- البيت:

واتركِ القضاءَ للأرحامِ حيث يميلُ القلبُ في الأحكامِ

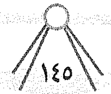
- الشرح:

واعلم أيها القاضي الحصيف:

إن الله تعالى أمرنا أن نتقيه، حيث سيسألنا يوم القيامةعن أرحامنا، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾[1]، قد أوصانا عليه

---

(١) سورة النساء: الآية ١



الصلاة والسلام بالأرحام بقوله: "**أطعموا الطعام وأفشوا السّلام وصِلوا الأرحام وصَلّوا والنّاس نيام تدخلوا جنَّة ربكم بسلام**"[1].

ومن الأعمال التي ستدخلنا الجنة صدق الحديث وأداء الأمانة والوفاء بالعهد وبر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين.

ولذا ينبغي عليك أيها القاضي وحرصاً على علاقة الأرحام والقرابة الرحمية الّا تقضي بينهم بحكمك، ولا أن تتولى قضية فيها رحم محرم؛

وبما أن القلب سُمي قلباً لأنه يتقلب، فقد يتقلب قلبك بالفطرة ويميل إليهم، خاصة إذا كان أباً أو أماً أو إبناً أو أخاً او أختاً الخ...

وقد فصَّل الفقهاء ﷺ من يقضى عليه ولا يقضى له مع الإشارة أن القضاء بين الأرحام يُولد التدابر والتقاطع المنهي عنه.

وقال ابن الوردي:

إن نصف الناس أعداء لمن ولي الأحكام هذا إن عدل

وأولو الأرحام في البر الأم ثم الأب ثم الأولاد ثم الجدات ثم الإخوة والأخوات ثم سائر المحارم من ذوي الأرحام كالأعمام والعمات والأخوال والخالات ويقدم الأقرب فالأقرب وألحقوا الزوج والزوجة بالمحارم، والله أعلم.

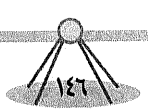
والخلاصة:

أنك أيها القاضي - المعان من قبل الله تعالى- إذا عُرضت عليك خصومة فيها أحد أرحامك -أقربائك- الذين مرَّ ذكرهم فاجتنب ذلك، فإنه أنقى لك وأفضل، وأزكى عند الله تعالى ورسوله ﷺ وعند العباد حتى لا يشار إليك بالبنان.

وأنت في كلا الحالتين غير ناج من ألسنة الناس فكيف إذا تسلمت والتزمت قضية فيها ذو رحم محرم.

فالزم بما كتبت لك وأمليته والله يتولى هداك، آمين .

(١) رواه ابن ماجه عن عبد الله بن سلام.



- **البيت:**

واقــرأْ عـلـومَ الـقـومِ حتىٰ ترتقي ... إذ حـامـلُ العلمِ سبيلُ المتقي

- **الشرح:**

اعلم أيها القاضي الحصيف:

إن العلم علمان:

١. **علم كوني ظاهر** يحكم فيه بين العباد والبلاد. وتُقَوَّمُ بما المصالح المتعلقة بالبشر، وترتقي به الأمم في حياتنا الدنيا، وتحفظ به الأحكام والحدود والحقوق والواجبات من الناس، وهذا من المتفق عليه بين أهل العلم والفكر والحذاقة والفهم.
٢. **وعلم لدني تخصيصي** معين عَلِمَه من علمه، وجَهِلَه من جهله، ويكون باختصاص من الله تعالى لبعض من أراد من عباده- فيجمع بين العلمين، العلم الكوني الظاهر والعلم اللدني الباطن.

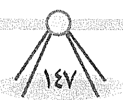
والشواهد على ذلك كثيرة وأعلاها وأغزرها قصة سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام.

والذي قال الله تعالى فيه: ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾[1]

إلى أن طلب موسى مصاحبته مع التعهد أن لا يسأله عن شيء يحدث له منه ذكراً فكان أن ركبا السفينة فخرقها الخضر- حيث كان ورائها ملك يأخذ كل سفينة غصبا، وقتل نفساً زكية بغير نفس حيث كان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغياناً وكفراً، ودخلا قرية امتنع أهلها عن إطعامهما فوجدا جداراً يريد أن ينقض فأقامه حيث كان تحته كنز لهما وهو لغلامين كان أبوهما صالحاً فأراد أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما.

---

(١) سورة الكهف: الآية ٦٥



وقصة سيدنا سليمان عليه السلام لما قال: أيكم يأتيني بعرشها؟ قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك؛ قال الذي عنده علم من الكتاب: أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فكان ذلك.

كل هذا من العلوم الخصوصية اللدنية الربانية التي يكرم الله تعالى بها من أراد أن يخصصه ويميزه من بعض الخَلْق.

فأسأل المولى تعالى أن يجعلك تحوز العلمين كي يكون لك ميزة خاصة فينفع الله تعالى بك العباد والبلاد.

وهذا لا يتأتى إلا بقراه كتب القوم.

كالرسالة القشيرية، وكتب الإمام الشعراني، وعبد الرحن السلمي في طبقاته والغزالي في إحيائه والمقدسي في تذكرته وفضائله.

وغير ذلك من كتب الرقائق كالزهد لإبن مبارك والتصوف ورسالة المسترشدين للمحاسبي والفوائد لابن القيم.

عند ذلك يرقيك الله تعالى ويرفعك، لأن هذه العلوم وأمثالها وقراءة هذه الكتب واضرابها توصلك إلى أعلى طريق وأزكاها، وهي التقوى الموصلة إلى علو المقام بين يدي الرحمن.

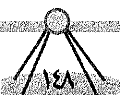
- البيت:

واحـمـدِ المولىٰ القديرَ سرمَـدا إنَّ حكمُكَ العدلُ فأنتَ المقتدىٰ

- الشرح:

أيها القاضي النبيه الحصيف:

إنه من الواجب على القاضي الذي أسبغ المولى عليه النعم أن يكثر من حمد الله المولى القدير، لأنه ما قال عبد الحمد لله إلا وجبت عليه نعمة، كما ورد في



الحديث يقول الحمد لله، وقد قال رسولنا الأكرم ﷺ 'أفضل الدعاء لا إله إلا الله، وأفضل الذكر الحمد لله'.

وفي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:'ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا منشرهم وكأني مُنْظِرٌ بأهل لاإله إلا الله ينفضون التراب عن رؤوسهم ويقولون: الحمد الله الذي أذهب عنا الحزن'[1].

وفي الحديث: كان رسول الله ﷺ إذا نظر وجهه بالمرآة قال: 'الحمد لله الذي أكمل خلْقي وحسَّن صورتي سوى خلقه فعدله، وكرم صورة وجهي وحسنها وجعلني من المسلمين'[2].

وإذا أكل قال: 'الحمد لله الذي أطعم وسقى وسوغه وجعل له مخرجا'.

وإذا رأى صاحب بلاء، قال: 'الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به'.

وإذا رأى ما يسره، قال: 'الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات'.

وإذا رأى ما يسوءه، قال: 'الحمد لله على كل حال، اللهم إني أحمدك أكثر مما حمدك الحامدون'.

ونسأل الله ان يجعلنا من الحامدين دوماً وأن يقبل منا حمدنا، إنه تعالى على كل شيءٍ قدير.

والنعم الكثيرة المقدرة عليك وعلينا توجب الحمد لله ذي النعم والفضل وتوجب علينا أيضاً محبته ورضوانه، وورد عن رسولنا الكريم ﷺ: 'أحبوا الله تعالى لما يغذوكم من نِعمَة وأحبوني بحب الله، وأحبوا أهل بيتي بحبي'[3].

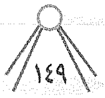
فإذا وُفقتَ في حكم أو قضاء أو قضية أو إصلاح فالحمد ينبغي أن لا يفارق قلبك ولسانك.

---

(١) رواه الطبراني.

(٢) ذكره في الزهد وارقائق.

(٣) رواه الترمذي عن ابن عباس



- البيت:

وأســألِ المولىٰ الختامَ الحَسنا كيما تـكـونَ فـي القيامِ كالسَّنَـا

- الشرح:

أيها القاضي الحصيف النبيه:

إن الله عز وجل قال في كتابه الكريم ﴿وَسۡـَٔلُواْ ٱللَّهَ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾[1] **لأن فضل** الله عظيم وجليل، والعبد مفتقر دوماً كي يسئل المولى عز وجل في كل أموره وأحواله.

وروي أن أبا بكر رضي الله عنه قام على المنبر ثم بكى فقال: قام رسول الله ﷺ عامَ الأولَ على المنبر ثم بكى فقال: **"وإسألوا الله العفو والعافية فإن أحداً لم يُعطَ بعد اليقين خيراً من العافية"**[2].

وأنت أيها القاضي المكرم إسأل المولى حسن الختام وكن على وجل من ذلك فإنك لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً.

فقد ورد عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **"إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل النار وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة"**[3].

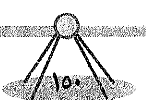
وفي مسند أحمد عن شداد بن أوس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: **"إذا كنز الناس الذهب والفضة فاكتنزوا هؤلاء الكلمات اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة علىٰ الرشد، وأسألك شكر نعمتك، وأسألك حسن عبادتك، وأسألك قلباً**

---

(١) سورة النساء: الآية ٣٢

(٢) رواه الترمذي

(٣) رواه مسلم عن أبي هريرة.



سليماً وأسألك لساناً صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك لما تعلم إنك أنت علام الغيوب'.

واسأل رب العالمين جل جلاله أن تكون يوم القيامة وقد رفع المولى قدرك وأعلى شأنك.

واختم شرح هذا البيت بهذا الحديث الرائع عن رسول الله ﷺ ويخبرنا فيه عن أحوال يوم القيامة وما يتعلق بها وقد ذكرت لك في البيت داعياً المولى أن تكون في القيام -أي يوم القيامة-كالسنا، أي كالنجم يعلي المولى عز وجل شأنك.

فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة أن الناس قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: '**هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب**' قالوا: لا يا رسول الله قال: '**فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب**' قالوا: لا قال: '**فإنكم ترونه كذلك، يحشر الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليَتَّبِعْ فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله،**

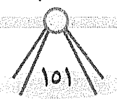
فيقول: أنا ربكم.

فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه.

فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم.

فيقولون: أنت ربنا.

فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان؛ هل رأيتم شوك السعدان؟' قالوا: نعم، قال: **فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يُخردلُ ثم ينجو حتى، إذا أراد الله رحمةَ من أراد**



من أهل النار أمر الله الملائكة أن يُخرِجوا من كان يعبد الله، فيُخرِجونهم ويَعرِفونهم بآثار السجود، وحرَّم الله على النار أن تأكل أثر السجود فيخرجون من النار، فكل ابن آدم تأكله النار إلا أثر السجود فيُخرَجون من النار قد امتحشوا، فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولاً الجنة مقبل بوجهه قِبَل النار.

فيقول: يا رب اصرف وجهي عن النار قد قشبني ريحها واحرقني ذكاؤها.

فيقول: هل عسيت أن فُعِلَ ذلك بك أن تسأل غير ذلك.

فيقول: لا وعزتك فيعطي الله ما يشاء من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل به على الجنة رأى بهجتها سكت ما شاء الله أن يسكت، ثم قال يا رب قدمني عند باب الجنة.

فيقول الله له: أليس أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت؟

فيقول: يا رب لا أكون أشقى خلقك.

فيقول: فما عسيت إن أُعطيت ذلك أن لا تسأل غيره.

فيقول: لا وعزتك لا أسأل غير ذلك.

فيعطي الله ما شاء من عهد وميثاق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا بلغ بابها فرأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فيسكت ما شاء الله أن يسكت؛

ثم قال: يا رب أدخلني الجنة.

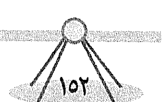
فيقول الله: ويحك يا ابن آدم ما أغدرك أليس قد أعطيت العهود والميثاق أن لا تسأل غير الذي أُعطيت؟

فيقول: يا رب لا تجعلني أشقى خلقك.

فيضحك الله عز وجل منه ثم يأذن له في دخول الجنة؛

فيقول: تمنَّ.

فيتمنى حتى إذا انقطع أمنيته؛



قال الله عز وجل: مِنّ كذا وكذا.

أقبل يذكره ربه حتى إذا انتهت به الأماني قال تعالى: لك ذلك ومثله معه.

قال أبو سعيد الخدري لأبي هريرة لم أحفظ من رسول الله ﷺ إلا قوله: **لك ذلك ومثله معه**، قال أبو سعيد: إني سمعته يقول ذلك إني سمعته يقول: **ذلك لك وعشرة أمثاله**[1].

اللهم أحسن ختامنا عند انتهاء آجالنا يا رب العالمين.

- البيت:

واطلبِ العونَ السديدَ في القَضَا   أبـو حنيفةَ قـضـى قبـل القضا

- الشرح:

أعلم أيها القاضي الحصيف النبيه:

إن القضاء خطره جليل وأمره عظيم فقد توارى عنه الصالحون والورعون مخافة المثول بين يدي الله تعالى يوم الدين وخشية الخطأ في الحكم، ولكن من المتفق عليه بين أهل العلم قاطبة أن القضاء هو من القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه ومولاه. إذا ما التزم بأوامر الله سبحانه وتعالى واجتنب نواهيه وحكم بالحق ولم يخشى إلا الله تعالى.

روى ابن سعيد في الطبقات في ترجمة أبي الدرداء[2] بسنده عن يحي بن سعيد قال: استعمل أبو الدرداء على القضاء فأصبح الناس يهنئونه، فقال أتهنئوني بالقضاء

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) أبو الدرداء وإسمه عويمر بن زيد بن قيس، وكان آخر أهل داره إسلاماً. خرج إلى الشام فتولى القضاء بها إلى أن مات سنة إثنين وثلاثين للهجرة في خلافة عثمان بن عفان.

وقد جعلت على رأس مهواة مزلتها أبعد من عدن وأبين، ولو علم الناس ما في القضاء لأخذوه بالدول رغبة عنه وكراهية له.

وروى أيضاً عن أبي قلابة[1] قال: 'إنما مثل القاضي كمثل رجل يسبح في البحر فكم عسى أن يسبح حتى غرق'.

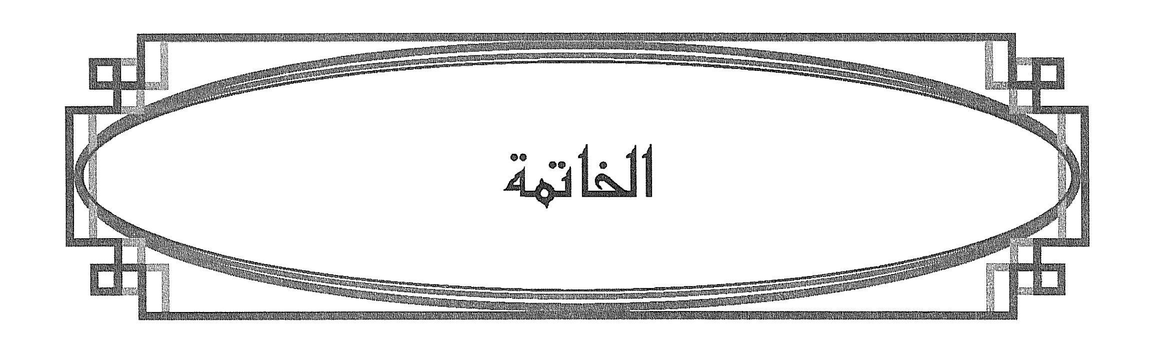
ويحمل أمر الذين رفضوا القضاء والإمارة إلى الورع والزهد خشية أن يفرض عليهم أولياء الأمور عونهم في بعض مظالمهم، أو أن من يريد توليتهم ليسوا أهلاً لذلك، لقلة الدين والفتن يومذاك.

وبالجملة إذا ابتليت بالقضاء. واختاروك لتكون في هذا المكان الخطر فاطلب دوماً العون من الله عز وجل وتقرب إليه بالرجاء كي يسدد أحكامك وأعمالك، فيما تقضي فيه وتحكم.

واعلم أن أبا حنيفة ﷺ عرض عليه القضاء فرفض فسجن حتى قضى حياته في السجن ولم يلِ القضاء لخطورته.وهذا مر سابقاً.

نسأل الله السلامة والسداد والعافية.

(١) أبو قلابة عبد الله بن زيد الجرمي البصري، من التابعين، وأحد الأعلام، روىٰ عن سمرة بن جندب وثابت بن الضحاك وأنس بن مالك وغيرهم، وكان عظيم القدر وروايته عن أم المؤمنين عائشة في صحيح مسلم.. طلب القضاء فتغيب وتغرب عن وطنه، فقدم الشام ونزل داريا فمات بعريش مصر سنة أربع ومائة من الهجرة. (تذكره الحفاظ/ الذهبي/ ١/ ٩٤/ .).



الخاتمة

هذي النصائحُ بدتْ كالذهبِ ... قد انتقيُتها وذاك مطلبي

نظَمَها ابتغاءَ وجهِ اللهِ ... صلاحُ الفخري داعياً للهِ

وقايةً ومنْ عذابِ النارِ ... لهُ وللأحبابِ والأبرارِ

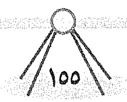
وأفضلُ الصلاةِ معْ سلامي ... على النبي المصطفى التِهامي

وآلهِ ثم الصحابِ الكرُما ... والوالدين من أحبَ العُلمَا

أبياتها دالٌ وسينٌ لامُ ... فاحفظ فكلُ حافظٍ إمامُ

٤ ٦ ٣





شرح الخاتمة

أيها القاضي الحصيف النبيه،

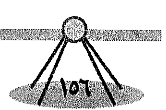
هانذا أختم قصيدتي التي بذلت فيها المجهود لنيل المقصود. وضمنتها نصائح ناصعة صادقة من غير همز بأحدٍ أو لمز بآخر، وإني أعتبرها نصائح أغلى من الذهب والزبرجد.

لأن الفرق بين النصيحة والتوبيخ، الإسرار والإعلان.

وقد مرَّ معك خلال قراءتك للقصيدة وشرحها، حديث رسولنا الأكرم ﷺ أنه قال: '**النصيحة لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**' وليس عندي أثمن وأغلى من النصيحة الصادقة؛

وهذه المواضيع التي ذكرتها وشرحت بها هذه القصيدة قد انتقيتها واخترتها من نفحات والهامات ربانية راجياً المولى أن تكون مقبولة وصادقة، فإن كانت كذلك فمن الله تعالى وتوفيقه، وإن لم تكن كذلك فمني ونفسي.

وجلَّ مطلبي أن تصل هذه القصيدة المرصعة بالنصائح، الناصعةإلى القلوب الطيبة المؤمنة المخلصة عسى أن تنالني منهم دعوة صالحة أرجو حلاوتها يوم الدين، وأنا أقبل النصيحة واستقبلها بصدر واسع ورضى من الأخ الناصح الصادق، إن رأى تقصيراً أوخطأً وهكذا ينبغي أن يكون كل مسلم صادق مع الله تعالى.



إذ واجب المسلم أن يشكر من ينصحة فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله.

فالعاقل يقول لمن أحبه قلبه ولازمه في حياته: 'إذا رأيت مني تقصيراً في شيئ فنبهني عليه برفق، وإدِ إليَّ النصيحة، فإني مُعَرّض للغفلة والكسل والخطأ والإهمال'، قال النووي في أذكاره: 'اعلم أن هذا الباب مما تتأكد العناية به فيجب على الإنسان النصيحة والوعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكل صغير وكبير، إذ لم يغلب على ظنه ترتب مفسدة على وعظه، قال تعالى:﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[1] وأما مايفعله كثير من الناس من إهمال ذلك في حق كبار المراتب وتوهمهم أن ذلك حياء فخطأ صريح وجهل قبيح، فإن ذلك ليس بحياء، وإنما هو خَوَرٌ ومهانة وضعفٌ وعجزٌ، فإن الحياءَ خيرٌ كلهُ، والحياءُ لا يأتي إلا بخير.

آداب النصيحة:

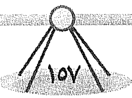
يحكى أن الحسن والحسين مرّا علىشيخ يتوضأ ولا يحسن الوضوء. فاتفقا علىأن ينصحا الرجل ويعلماه كيف يتوضأ، ووقفا بجواره، وقالا له: يا عم، انظر أيُّنا أحسن وضوءاً، ثم توضأ كل منهما، فإذا بالرجل يرى أنهما يحسنان الوضوء، فعلم أنه لا يحسنه، فشكرهما على ما قدماه له من نُصح دون تجريح.

النصيحة دعامة من دعامات الإسلام، قال تعالى: ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣ ﴾[2]

---

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٢) سورة العصر: الآية ١-٣.



والنصيحة جملة من الآداب، منها ما يتعلق بالناصح، والمنصوح.

أدب الناصح:

الإخلاص: فلا يبغي الناصح من نصحه إظهار رجاحة عقله، أو فضح المنصوح والتشهير به، وإنما يكون غرضه من النصح الإصلاح، وابتغاء مرضاة الله.

الحكمة والكلمة الطيبة واللين: فالكلمة الطيبة مفتاح القلوب وطريق القبول والرضا.

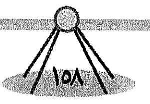
عدم كتمان النصيحة: المسلم يعلم أن النصيحة هي أحد الحقوق التي يجب أن يؤديها لإخوانه المسلمين، فالمؤمن مرآة أخيه، يقدم له النصيحة، ويخبره بعيوبه، ولا يكتم عنه ذلك، قال ﷺ: '**حق المسلم على المسلم ست**'، قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: '**إذا لقيته فسلِّم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا دعاك أجبته، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فشمِّته، وإذا مرض فعُدَّه** (فزره) **وإذا مات فاتبعه** (أي سر في جنازته)'[1].

أن تكون النصيحة في السر: المسلم لا يفضح المنصوح ولا يجرح مشاعره، وقد قيل: 'النصيحة في الملأ (العلن) فضيحة'.

ما أجمل قول الإمام الشافعي:

ومُدّني بنُصحِكَ في انفرادي	وجنِّبني النَّصيحةَ في الجمَاعَة
فإنَّ النُّصحَ بينَ الناسِ نوعٌ	من التوبيخ لا أرْضَى استماعه

(١) رواه مسلم.



وكان ﷺ إذا أراد أن ينصح أحد الحاضرين يقول: **"ما بال أقوام يفعلون كذا، ما بال أحدكم يفعل كذا"**[1].

وقيل: النصح ثقيل فلا تجعلوه جبلاً، ولا ترسلوه جدلاً، والحقائق مرة فاستعينوا عليها بخفة البيان.

الأمانة في النصح: فلا يخدع المنصوح ولا يستهين بأمره، بل يبذل الجهد، ويعمل الفكر، قبل أن ينصح، وعليه بيان ما يراه من المفاسد إن وجد في ستر وأمانة.

- البيت:

وقــايــةً ومــن عــذابِ الــنــارِ　　　لــهُ ولــلأحــبــابِ والأبــرارِ

- الشرح:

وأنا نظمت هذه القصيدة من أجل الثواب والأجر من الله تعالى، عسى أن ينقذني بصدقها ونفعها وبرها من عذاب النار وعذاب القبر، وفتنة المحيا والممات لي ولأحبابي والأبرار الصادقين إذ هو غايتي ومطلبي.

- البيت:

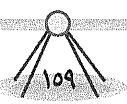
وأفــضــلُ الــصــلاةِ مــعْ سلامي　　　على النبي المصطفى التهامي

- الشرح:

ثم الصلاة على النبي محمد ﷺ صلاة أرجو بها كمال الخاتمة وحسنها، فقد أمر المولى تعالى عباده بالصلاة عليه في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾[2].

(١) رواه مسلم.

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٥٦.



والنبي ﷺ قال :'**من صلىٰ عهليَّ واحدة يصلي عليه عشراً**'[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: '**من سرَّه أن يكتال بالمكيال الأوفىٰ إذا صلىٰ علينا أهل البيت فليقل: اللهم صلىٰ علىٰ محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين، وذريته وأهل بيته كما صليت علىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد**'[٢].

ومن حديث رواه الطُفيل بنُ أُبَيٍّ بن كعب عن أبيه عند سؤاله رسول الله ﷺ: '..يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك فكم أجعل لك من صلاتي فقال: ماشئت فإن زدت فهو خير لك، قلت النصف قال: ما شئت فإن زدت فهو خير لك، قلت فالثلثين، قال فإن زدت فهو خير لك، قلت أجعل لك صلاتي كلها، قال: **إذاً تكفي همك ويغفر لك ذنبك**'[٣].

فصلاتي على رسول الله ﷺ سرمداً دائمة لا انقطاع لها، لأن الله تعلى ينميها ويربيهاويكثرها.

ولقد وضعت رسالة قيمة في ذلك أسميتها: 'تحفة الصلوات' فراجعها.

فهو النبي الأكرم الذي اصطفاه الله تعالى بالنبوة والرسالة، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً، فهو أكرم الرسل الكرام، وأفضل الأنبياء العظام وأفضل المخلوقات وأعلى من في السموات والأرض إطلاقاً.

وهو القائل عن نفسه: '**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع**'[٤]

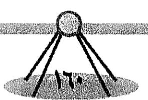
---

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه أبو داوود.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) صحيح مسلم



فهو عليه الصلاة والسلام نور الهداية والإرشاد والتوجيه، فقد مَنَّ الله تعالى علينا به وعرّفنا حقيقة النور الذي جاء به وهوكتاب الله تعالى الذي قال فيه: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾[1].

وكذلك زادنا به معرفة عندما قال تعالى: ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾[2].

وأخرجنا من ظلمات الجهل والكفر والضلال إلى نور الإسلام كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[3]

فأرشدنا الله تعالى به وأنقذنا من عوامل الجهل والضلال إلى شاطئ الخير والسلامة ونور الهداية والإيمان.

- البيت:

وآلــه ثــم الــصــحــابِ الــكـرمـا   والــوالــديــنَ مــنْ أَحَــبَّ العُلَما

- الشرح:

والصلاةعلى آله الأطهار، الذين اكتملت صفاتهم وعباداتهم وحازوا رفعة انتسابهم للنبي محمد ﷺ حتى نالوا القِدح المعلى والفضل المجلى. وآل النبي ﷺ حقيقة كما قال الإمام أبو حنيفة[4] رضي الله عنه : **'ثلاثة عيون وجيم وحاء وهم آل علي، آل عقيل، آل عباس، آل جعفر، ومعهم آل حمزة، وآل حارث، فأولئك هم آل بيت النبي ﷺ'** تنطبق عليهم الضوابط الشرعية كوجوب احترامهم، وتعظيمهم وإكرامهم، وواجب الأنفاق عليهم وتحريم الزكاة عليهم، والكفاءة في عقودهم.

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٥

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٤٣

(٣) سورة الزمر: الآية ٢٢

(٤) الإمام أبو حنيفة نعمان بن ثابت، ولد سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٥٠ هـ بعد أن ملأ الدنيا علماً وفقهاً - دفن في بغداد، وقد اكرمني المولى بزيارته اكثر من مرة.

والتزود مما يجب لهم يؤخذ من مظانه.

وبالإجمال قال الله تعالى عن رسوله ﷺ: ﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾[١] أي يوصينا عليه ﷺ أن نتودد إلى قرابته، وهم أهل بيته الأطهار تودد محبة وكرم وعطاء وإحسان ومودة خير واتّباع، فمن تبعه وسار على نهجه وسلك سبيله فهو من آل بيته مجازاً، ويستحق الثناء والإلتحاق بركب آل بيت رسول الله ﷺ.

وكذلك أصلي على أصحابه تبعاً كما صليت على آله تبعاً وكما هو المتفق عليه عند أهل العلم، فأصحابه هم الذين مدحهم الله تعالى بقوله: ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾[٢] لما قدموا من غال وثمين من أجل رفعة الإسلام ونصرة الدين، وكذلك استحقوا المدح بقوله تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾[٣] معيَّة محبة ورحمة وإخلاص وجهاد وعمل وعلم.

ورسولنا الأكرم قال: **'الله الله في أصحابي الله الله أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم، و من أبغضهم فببغضي، ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذىٰ الله ومن آذىٰ الله فيوشك أن يأخذه'**[٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **'لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي فالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه'**[٥]

ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً أي لا فرضاً ولا نفلاً، لأن الثقة بهم إذا نزلت من القلوب ومحبتهم أزيلت من النفوس كان هذا كله مدعاة للشك في الدين، وهذا غير

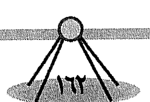
(١) سورة الشورىٰ، الآية:٢٣

(٢) سورة المجادلة، الآية: ٢٢

(٣) سورةالفتح، الآية: ٢٩.

(٤) سنن الترمذي وأحمد في مسنده.

(٥) صحيح مسلم رقم ٦٦٥١.



جائز لأنهم هم الذين نقلوا لنا الدين وكانوا على المحجة البيضاء التي تركنا عليها رسول الله ﷺ.

والصحابي هو إنسان رأى رسول الله وآمن به ومات مسلماً.

وقد ابتلينا في عصر -القرن العشرين- بزلاقة اللسان على بعض الصحابة من الذين طمس الله قلوبهم وأذهب الحياء من وجوههم، فقد سوّل لهم الشيطان أعمالهم، فنالوا من الصحابة الكرام تربصاً بالإسلام وأهله وهذا دلالة على جهلهم الذي تمكن من قلوبهم ورسولنا الأكرم ﷺ قال عن أبي بكر رضي الله عنه عندما سمع عليه كلاماً: "**إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدق، وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي -مرتين- فما أوذي بعدها**"[1].

فهو يعلمنا كيفية معاملة أصحابه الكرام رضي الله عنهم.

ومن أحب أن يتبحَّر بهذا الموضوع فليراجع كتاب الشفاء للقاضي عياض ففيه كلام شافٍ.

وكذلك أدعو للوالدين الذين رحمهما الله تعالى بقوله معلماً ومرشداً الأبناء: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾[2].

وقد حذَّر رسولنا الأكرم ﷺ من عقوق الوالدين وعدّه من الكبائر، ومن السبع الموبقات.

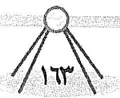
نسأل الله تعالى أن يرضى عنا ورسوله الأكرم ووالدينا إلى أن نلقاه آمين.

ثم أدعو للعلما: والعلماء هم الذين أثنى الله تعالى عليهم ومدحهم وأشهدهم على وحدانيته وأنه قام بالقسط فقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

---

(١) رواه البخاري.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٢٤.



﴿وَأُولُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾[2] وقال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩﴾[3].

وكذلك الأولياء الصالحون العارفون، أهل العقول واللباب الذين أكسبهم المولى عقولاً صالحة قادتهم إلى المعالي والرفعة فأشغلوا أوقاتهم بالطاعات والعبادات والأذكار، فحازوا فضل الدنيا ورفعة الآخرة التي قال تعالى فيها: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ٤﴾[4].

هذا ما وفقني المولى تعالى إليه، والهمني كتابته وتسطيره.

سائلاً المولى أن يجعله في صحيفتي يوم ألقاه وفي صحيفة مشايخي ووالديّ وأولادي وزوجتي، وفي صحيفة كل قاض عرف الحق فاتبعه، وتلمس العدل فقضى به، وفي صحيفة إخواني وأحبابي وكل من سار على نهج الصالحين وأهل الله تعالى آمين آمين آمين.

وكتبه العبد المفتقر إلى ربه الغني

الشيخ صلاح الدين خضر فخري

الحسيني البيروتي

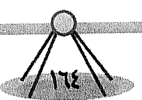
١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨.

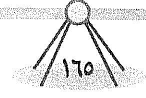
(٢) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٣) سورة الزمر: الآية ٩.

(٤) سورة الضحى: الآية ٤.

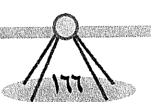



تم بحمد الله



فهرس

الموضوع .... الصفحة




تم بحمد الله

